سلسلة عقيدة أهل السنة والجماعة

أ / *أبي زياد النحوي*

ماجيستير اللغة العربية والدراسات اللغوية

(1) عقيدة أهل السنة والجماعة ...

كلمة عقيدة مأخوذة من العقد و هو بمعنى الربط ، ومنه : عقد الرجل الحبل أي : شد طرفيه و ربطهما ، و ضد ذلك الحل والفك ، و لذلك نقول : إن كلمة عقيدة تدل على معنى الجزم و التوكيد، و لذلك نشترط في صحة الإيمان أن يجزم به المرء ، لأن الشك ليس إيمانا ، دل على ذلك قوله تعالى : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا » الحجرات آية 15 ، أي : لم يتطرق الشك إلى عقيدتهم و إيمانهم بالله و رسوله ، لأنه لو تطرق إليهم الشك فإنهم يكفرون بذلك ، و لذلك نقول :

إن من شك في عذاب القبر كفر ، لأن الإيمان بعذاب القبر من عقيدة أهل السنة و لابد من الجزم به ، لأن هذه عقيدة ...

- إذن : نحن عرفنا معنى كلمة عقيدة ، فما هي عقيدة أهل السنة و الجماعة ؟

و الجواب أن نقول :

هي أركان الإيمان الستة التي وردت في حديث جبريل عليه السلام ، ويضاف إليها مجموعة من الأمور التي يتميز بها أهل السنة عن غيرهم من أهل البدع .. هذه كلمة ندخل بها لسلسلة عقيدة أهل السنة و الجماعة و الله الموفق ...

(2) عقيدة أهل السنة والجماعة ...

- حديث جبريل عليه السلام في بيان الإسلام و الإيمان والإحسان ، هذا الحديث يبين لنا مسألة مهمة و هي : موضوع علوم الاعتقاد ، لأن الإنسان

قد يسأل عن المسائل التي يدرسها من خلال هذا العلم الشريف ...

- و موضوع علم العقيدة يدور حول ثلاثة أمور و هي :

1- التوحيد ، 2- النبوات ، 3- الغيبيات ..

- والأمر الذي يلفت النظر بشدة هو :

أن الأغلب من المهتمين بدراسة جانب المعتقد ، يهتمون بجانب التوحيد و ما يلحق به من مسائل الكفر و الشرك ، و هذا جيد ، لكنهم يهملون جانب النبوات و الغيبيات ، و لهذا آثار مذمومة ...

- فكما أنك تدرس كتاب التوحيد ، فيجب أن تدرس كتاب الموت و أمور الآخرة ، و قد كانت الغيبيات بكل أبوابها هي مفتاح القلوب في بدء الدعوة النبوية ،و فتح الله بها قلوبا غلفا و آذانا صما و أعينا عميا ، و أنتم ترون آثار تلك التربية بادية في سلوك أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم - و كذلك في الأجيال التي التقت بهم ، لأنهم كانوا يعتنون بجانب الغيبيات جدا ، فكان له الأثر البالغ ...

- هناك سور في كتاب الله تدرس هذا الجانب دراسة عميقة ، كسورة النبأ ، و سورة النازعات و غالب جزء عم ، لماذا لا نعكف على هذا الجزء حفظا ودراسة ؟ لا أقول لكم ادرسوا التذكرة للقرطبي ، أو وصف النار لابن رجب الحنبلي ، هذا برأيي خطأ ، بل عليكم بسور القرءان التي تشرح هذا الجانب شرحا عميقا ، ثم بعد ذلك انظروا في تلك الكتب ، و هناك تفسير السعدي يعينكم على فهم الآيات و توضيح ألفاظها ، ومن توسع فلا بأس ...

- على كل حال : اعتنوا بكل العقيدة ، لا ببعضها ، وفقنا الله لما يحبه ...

(3) عقيدة أهل السنة والجماعة ...

- أهل السنة يؤمنون بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و القدر خيره وشره ، و دليل الإيمان بهذه الأركان الستة قوله تعالى « آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ » سورة البقرة ، و كذلك حديث جبريل لما سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخبرني عن الإيمان :

فقال الحبيب : أن تؤمن بالله وملائكته و كتبه ورسله و اليوم الآخر ، و تؤمن بالقدر خيره وشره » رواه مسلم ...

- و الإيمان بهذه الأركان الستة هو الذي يميز المسلم السني عن غيره من أهل الكفر و البدع و الضلال ...

- فإن الملاحدة لا يؤمنون بالله ، و ينكرونه ، و يقولون لا خالق و لا إله ، و لكن المسلم يؤمن بالله و يقر به ربا ومعبودا ، و يتقرب إليه بما يحبه سبحانه و بما يرضاه ...

- و كانت طائفة من المشركين تنكر بعض الملائكة ، كما قال أبو جهلٍ لعنه الله حين أنزل الله تعالى في شأن جهنم: {عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ} المدثر ، أفيعجز كلُ عشرةٍ منكم أن يبطش برجلٍ من خزنة جهنم ، فهذا استخفاف ظاهره الإنكار ، و كل من أنكر الله تعالى فإنه ينكر الملائكة ،و المسلم يؤمن بالملائكة و بكل ما ورد عنهم في الكتاب و السنة الصحيحة ..

- و كذلك الكفار أنكروا البعث بعد الموت كما قال تعالى « زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ » سورة التغابن ، و المسلم يؤمن بالبعث بعد موته و أن الله يبعث العباد و يحاسبهم ...

- و من الناس من ينكر القدر ، كالقدرية مجوس هذه الأمة ، فالحاصل أن الناس منهم من ينكر هذه الأركان الستة أو ينكر بعضها ، أو يؤمن بها

إيمانا ناقصا على خلاف ما جاء في الشريعة ، و أهل السنة يؤمنون بهذه الأركان على حسب ما ورد في الكتاب والسنة ، و سيأتي تفصيل كل ركن في هذه السلسلة إن شاء الله ....

(4) الركن الأول : الإيمان بالله ...

- الإيمان بالله ليس المراد به أن نؤمن بوجوده سبحانه ، فإن هذا شئ أقرت به جميع الأمم ، و حتى من أنكره فقد أنكره ظلما و علوا لا عن قناعة عقل و يقين نفس ، كما قال سبحانه :« و جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلما و علوا » الآية ، ...

- و مع إقرار الخلق بوجوده سبحانه و عدم جحده و إنكاره ، إلا أن الله تعالي جعل الناس قسمين :

قسما آمن به و قسما كفر به ، كما قال عز جلاله في سورة التغابن :

« هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن . و الله بما تعملون بصير » الآية ،والكافر و المؤمن يصدقان بوجود الله ، و مع ذلك هذا مؤمن بالله و هذا كافر به ، إذن : الإيمان بالله ليس هو الإقرار بوجوده ، فإن هذا شئ لا ينكره أحد ، إلا بعض الناس مكابرة و ظلما ...

- و لقد تعجبت من بعض العلماء المعاصرين حينما ألف كتيبا صغيرا في توحيد الله سبحانه ، و إذا به يقرر فيه أن التوحيد هو الإيمان بوجود الله !!! ألم يأته نبأ اليهود و النصارى ؟! ألم يقرا بوجود الله سبحانه ؟! بل أقروا بما هو فوق ذلك من الربوبية ، و مع ذلك حكم الله بكفرهم و غضب عليهم و لعنهم وأعد لهم عذابا أليما ، إذن : الإيمان بالله شئ أكبر من الإقرار بوجوده سبحانه ..

- فإن قيل : و ما هو الإيمان بالله ؟ فالجواب أن نقول : هو الإيمان بأربعة أمور :

1- الإيمان بوجوده سبحانه ،2- الإيمان بربوبيته ، 3- الإيمان بألوهيته ، 4- الإيمان بأسماءه وصفاته ...

- و لابد للعبد أن يؤمن بها مجتمعة ، فمن آمن ببعضها لا يكون مؤمنا ،لأن اليهود و النصارى و مشركي قريش آمنوا بوجود الله و بربوبيته ، ومع ذلك كفرهم القرءان لأنهم جحدوا ألوهية الله على خلقه ، و كذلك الجهمية ، الجهمية أقروا بوجود الله و ربوبيته و أنه المعبود ،لكنهم نفوا أسماء الله و أوصافه ، فكفروا بذلك كما قال العلماء ،و قد نقل ابن القيم الإجماع على كفرهم في الشافية الكافية ..

المهم أن نعرف أن الإيمان بالله يعني :

الإيمان به ربا و إلها و معبودا ، و أن نسميه بأسمائه و نصفه بصفاته سبحانه ، وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله ..

- الخلاصة :

1- الإيمان بالله هو : الإقرار بأربعة أمور :

وجوده سبحانه .. ربوبيته .. ألوهيته .. أسماءه و صفاته ...

2- الإقرار بوجود الله سبحانه ليس كافيا في الإيمان ، لأنه اليهود و النصارى أقروا به و مع ذلك كفرهم الله و غضب عليهم ..

3- أن المسلم لا يخجل و لا يستحي من تقسيم الناس إلى كافرو مؤمن ، لأن هذه قسمة الله سبحانه ، و هل هناك أحد أشد حياء من الله ؟ بالقطع لا ، و مع كونه سبحانه يستحي فإنه لم يستح من تقسيم عباده لكافر و مؤمن فتنبه ...

(5) الركن الأول : الإيمان بالله ...

- قلنا إن الإيمان بالله هو الإقرار بأربعة أمور و هي :

الإقرار بوجود الله تعالى و ربوبيته و ألوهيته و أسماءه و صفاته ،و هذا هو التوحيد الذي نزلت به الكتب و جاءت به الرسل ، وعلى هذا فركن الإيمان بالله يعني توحيده الله سبحانه ..

- فأما وجود الله سبحانه فلم ينكره إلا الدهرية قديما و الشيوعية حديثا ..

- و أما الربوبية فقد أقر بها عامة الخلق ولم ينكروها ، حتى اليهود و النصارى و مشركو مكة أقروا بها ، كما قال تعالى :« ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله » الآية ، و قوله تعالى : « و لئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم » الآيات ،...

- و أما الألوهية فقد أنكرها قوم أذكياء ولهم عقل إدراكي ككفار مكة ، فإنهم قالوا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما دعاهم إلى توحيد الله وترك الإشراك به « أجعل الآلهة إلها واحدا » الآيات ،،، يعني : أنتبرأ من كل الآلهة ونتوجه إلى إله واحد ، ندعوه وحده دون ما سواه ، ونرجوه وحده دون ما سواه ، و نطيعه في الأمر والنهي وحده دون ما سواه ،فرفضوا بذلك توحيد الله سبحانه ، واستكبروا عن عبادته كما قال سبحانه :« إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون . و يقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون » الآيات ،،، لأنهم علموا أن لاإله إلا الله ليست كلمة تقال باللسان وحسب ، بل إنها تقتضي التجرد من الشرك بكل أنواعه و صرف العبادة لله وحده دون ما سواه ..

-و أما توحيد الأسماء والصفات فقد اختلف الناس فيه اختلافا كبيرا ، فمنهم من أنكره كله ، و وصف الله بالعدم المحض وهم الجهمية و من تبعهم ، ومنهم من أنكر بعضه كالمعتزلة ، و منهم من أثبته مع التحريف و التأويل الفاسد كالأشاعرة ، و هذا باب كبير سأفصل فيه القول جدا ...

- وبهذا انقسم الناس في التوحيد أقساما :

منهم من آمن بوجود الله و ربوبيته و كفر بالألوهية كاليهود و النصارى ومشركي مكة ، و منهم من آمن بالربوبية والألوهية ، لكنه وقع منه الغلط في باب الأسماء و الصفات ، و منهم من آمن بكل أنواع التوحيد وهم أكثر الأمة و لله الحمد ، بداية من الصحابة الكرام و من تبعهم إلى يوم الدين ..

- سنركز في هذه المقالات على باب الأسماء و الصفات ،فإني أجد الحاجة إليه كبيرة ، و قد تكلمت في سلسلة أصل الدين على الربوبية و الألوهية بما يكفي ، فلا نحتاج الإعادة ، لكن باب الصفات نحتاج فيه تفصيلا ، نذكر فيه إن شاء الله مجمل عقيدة أهل السنة ، ثم نخصص مقالات للحديث عن الجهمية و المعتزلة و الأشاعرة وغيرهم ، وفقنا الله لما يحبه و يرضاه ...

(6) عقيدة أهل السنة و الجماعة ...

- توحيد لأسماء و الصفات ...

- هذا الباب حصل فيه نزاع كبير ، و كثر خوض الناس فيه ، حتى صاروا فرقا متنازعة و أقساما متنوعة :

1- قسم قالوا : لا يجوز أن نصف الله بوجود و لا عدم ، لأنه إن وصفناه بوجود فقد أشبه الموجودات ، و إن وصفناه بعدم فقد أشبه المعدومات ، فلو قلنا مثلا : إنه حي سميع بصير ، فقد شبهناه بالمخلوق الحي الذي يسمع و يبصر ، و لو قلنا ليس بسميع و لا بصير ، فقد شبهناه بالمخلوق الذي لا يسمع و لا يبصر ، فوصفوا الله بالعدم المحض ظنا منهم أنهم ينزهونه عن مشابهة الخلق ، و لذلك لما قال محمود بن سبكتكين للجهمي :صف لي ربك الذي تعبده ، قال : ليس داخل العالم و لا خارجه ، ولا فوقه ولا تحته ، قال محمود : « لو قلت لأحد صف لي العدم ، لما أجاب بأحسن من ذلك » فهؤلاء هم الجهمية النفاة المعطلة ، و سيأتي مذهبهم مفصلا معنا ...

2- و قسم قالوا : نصفه بالنفي لا بالإثبات ، فلو قلنا : إنه حي سميع ، فقد شبهناه بالموجودات ، فنحن ننزهه و نصفه بالنفي فنقول : ليس بميت و ليس بأبكم و ليس بأصم ، فجعلوا النفي تنزيها ..

3- وقسم قالوا : نسميه و لا نصفه ، لأن الصفات معاني تقوم بالأجسام ، فلو وصفناه فقد أثبتنا له الجسمية ،فالإنسان جسم وله أوصاف ، طويل أو قصير أو متكلم أو أبكم أو سميع أو أصم وهكذا ، فهذه معاني تقوم بالذوات ،ولو أننا جوزنا أن نصف الله فإننا بذلك نقر بأنه جسم كالمخلوق ،و هؤلاء هم المعتزلة ...

4- و قسم قالوا : نثبت له الأسماء ،و نثبت له من الصفات ما دل عليه العقل ،و ما تعارض مع العقل نفيناه ، فأثبتوا لله سبع صفات فقط وحرفوا

الباقي ، أثبتوا له : الحياة و السمع والبصر الكلام و الإرادة و العلم و القدرة، وهؤلاء هم الأشاعرة ..

5- و قسم قالوا : نثبت لله كل الأسماء والصفات حقيقة ، و ننزهه عن مشابهة الخلق ، فنقول « ليس كمثله شئ و هو السميع البصير » و هؤلاء هم أهل السنة ، هذه أقسام الناس إجمالا في باب الاسماء والصفات ، و نبدأ تفصيل ذلك في المقالات القادمة و الله المستعان ...

(7) عقيدة أهل السنة والجماعة ...

- باب الأسماء و الصفات ...

- الأسماء جمع اسم ، و الاسم هو : ما دل على مسمى ، فإذا قلت :

(زيد) فإن (زيدا) اسم ، وقد دل هذا الاسم على مسماه ، و ما هو مسماه ؟ مسماه هو الذات التي تسمت به حتى صار علما عليها ، فإذا قال أحد هذا (زيد) ، فإن الذهن ينصرف إلى ذلك الشخص المعروف بهذا الاسم ، و هل لله أسماء تدل على ذاته سبحانه ؟ و الجواب نعم ،و ما هو الدليل على ذلك ؟ و الجواب : دل على ذلك قوله تعالى : (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ) سورة الأعراف :180 ، فقوله سبحانه (ولله الأسماء الحسنى) هذه جملة خبرية ، فيها إخبار من الله تعالى لعباده أن له أسماء تسمى بها ، حتى صارت اعلاما تدل عليه ، و هذه الآية تدل على فساد مذهب الجهمية النفاة ، الذين نفوا عن الله كل أسماءه سبحانه ...

- و أما الصفات فهي جمع صفة ، و الصفة هي : ما يضاف إلى الذات من المعاني و الأحوال التي تكون عليها ...

- و هل لله أوصاف وصف بها ذاته الشريفة ؟ و الجواب : نعم ، و ما الدليل على ذلك ؟ دليل ذلك قوله تعالي : (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) أي : الوصف الأعلى، لأن المثل هو الوصف ، و كذلك قوله تعالى : (ولله الأسماء الحسنى) فالحسن في أسماء الله تعالى هو أنها تدل على صفات حسنى ، أي : بلغت في الحسن غايته و تمامه ، كاسمه تعالى (الحي) فإنه دل على صفة الحياة ، و هي الحياة الكاملة التي لم يسبقها عدم و لا يلحقها فناء ،و لا يعتريها ضعف و لا مرض و لا نوم ، فلو قلنا

: إن أسماء الله لا تدل على أوصاف له ، فإنها لا تكون حسنى ، وهذا غلط كبير ، و هو أحد الأدلة علي فساد مذهب النفاة من الجهمية و المعتزلة ..

- و لو أننا قلنا : إن لله أسماء سمى بها نفسه ،وصفات وصف بها نفسه ، فما هو طريق العلم بها و معرفتها ؟ و الجواب أن نقول : طريق ذلك هو الخبر ، أي : الكتاب والسنة ، و لذلك نقول : إن توحيد الأسماء والصفات يسميه العلماء : التوحيد العلمي الخبري ، لأن طريق العلم به هو الخبر الشرعي ، أي قول الله و قول رسوله ...

- و هل يجوز للعقل أن يحكم في هذا الباب ؟ فيسمي الله سبحانه و يصفه ؟و الجواب : لا ، لماذا ؟ لأن الله غيب لنا ،نحن ما رأينا الله سبحانه ، لم نشاهده بأعيننا ، فكيف نصفه أو نسميه و هو غيب ؟

و لو أنني قلت لرجل :صف لي فلانا و هو لم يره ، فبماذا يجيب ؟ سيمتنع ويقول : لا أستطيع وصفه ،فما رأته عيناي ، فإذا كان هو الحال في المخلوق ، فإنه في حق الخالق أولى ،و لذلك نحن نثبت لله سبحانه ما ورد به النص الشرعي فحسب ...

(8) عقيدة أهل السنة والجماعة ...

- باب الأسماء والصفات ...

- القاعدة العامة لأهل السنة في باب الأسماء و الصفات :

الإيمان بما وصف الله به نفسه و بما وصفه به رسوله ، من غير تحريف ولا تعطيل ، و من غير تكييف ولا تمثيل ...

- و معنى ذلك : أن ذات الله توصف بصفات و تسمى بأسماء ، لأنه لا يمكن في العقول أن نؤمن بذات مجردة عن الأوصاف ، فإن آمنا بذات لا وصف لها ولا اسم ، فإننا بهذا نؤمن بعدم محض ، ولهذا العلماء يقولون : المعطل يعبد عدما ، أي الذي ينفي أسماء الله وصفاته كالجهمية و غيرهم ، إذن : نحن نؤمن أن الله له أسماء و أوصاف تدل عليه سبحانه ..

- وهذه الأوصاف مقيدة بالسمع ، أي : بالوحي المنزل ، و هو القرءان والحديث ، ولهذا قال الإمام أحمد - رحمه الله - :

« نصف الله بما وصف به نفسه و بما وصفه به رسوله ، لا نتجاوز القرءان والحديث » فإثبات الأسماء و الصفات توقيف ، أي : لا يثبت إلا بقرءان أو سنة .. و الإيمان بصفات الله يجب أن يخلو من أربعة محاذير وهي :

1- التحريف : ومعناه : التغيير ، أي :

تغيير معنى اللفظ و صرفه عن معناه المراد به إلى معنى آخر لا يصح ، و مثال ذلك : قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » طه آية : 5 ، فيأتي أهل التحريف فيقولون : استوى أي : استولى ، يعني : استولى على العرش ، و هذا غلط من جهة اللغة و الشرع و العقل ، فالاستواء في اللغة والشرع بمعنى : العلو والارتفاع ، و العرش هو سرير الملك ، فيكون المعنى : علا وارتفع على سرير ملكه بذاته سبحانه و هذا في عقيدة أهل السنة ، و أما العقل : فمن ذا الذي ينازع الله في عرشه حتى نقول إن الله استولى على العرش ؟!!

- فأهل التحريف يفسرون اللفظ بغير معناه ، فإن قال قائل : وهل هناك قاعدة عامة في هذا الباب نصون بها المعاني الصحيحة عن تحريف أهل البدع ؟ قلنا : نعم ، و قاعدة أهل السنة هي :

« كل لفظ نحمله على ظاهر معناه ، مالم تأت قرينة تصرف اللفظ عن ظاهره » .. و مثال ذلك : قوله تعالى :« أتى أمر الله فلا تستعجلوه » النحل :1 ، اي : سيأتي ما وعد به عباده ، فظاهر اللفظ مخالف لمعناه ، لأن المعنى : سيأتي أمر الله ، و الدليل في الآية نفسها « فلا تستعجلوه » ،

فكيف ينهى عن استعجاله و قد أتى ؟ فيكون المعنى : سيأتي أمر الله فلا تتعجلوا إتيانه ، العرب تستعمل الفعل الماضي وتريد المضارع و منه هذه الآية الكريمة ..

- و أهل التحريف يسمون ذلك كله تأويلا ، وهذا من باب تغيير الحقائق و التلبيس على الخلق ، لترويج باطلهم و إشاعته بين عامة الناس ، و التأويل شئ و ما هم عليه شئ آخر سماه الشرع تحريفا ، كما في قوله تعالى : « يحرفون الكلم عن مواضعه » النساء : 46 ، و هذا هو فعل أهل الكتاب

من اليهود و النصارى ، فقلدهم المحرفة لنصوص الصفات من الأشاعرة و غيرهم ...

- و لو سلمنا لهم بأن فعلهم هذا تأويل ، فالتأويل قسمان :

الأول : تأويل محمود مقبول ، و هو ما وافق الدليل و دل عليه الشرع ، فحينئذ يكون تفسيرا للنص بما يؤيده الشرع بالقرائن و الأدلة ، و قد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ابن عباس :

« اللهم فقهه في الدين و علمه التأويل » رواه أحمد ، فهذا نوع محمود ، والثاني : تأويل مذموم محرم ، و هو صرف النص عن ظاهره و معناه بلا دليل ، فهذا هو التحريف الذي ذم الله به أهل الكتاب من اليهود و النصارى ...

9) عقيدة أهل السنة والجماعة ...

- باب الأسماء والصفات ...

- القاعدة العامة لأهل السنة في باب الأسماء و الصفات :

الإيمان بما وصف الله به نفسه و بما وصفه به رسوله ، من غير تحريف ولا تعطيل ، و من غير تكييف ولا تمثيل ...

2- التعطيل : تكلمنا عن التحريف في المقال السابق و الحمدلله ، و أما التعطيل فهو : الترك و التخلية و منه قوله تعالى : « وبئر معطلة » الحج : 45 ، أي متروكة مخلاة ، و المراد به في باب الأسماء والصفات : الإنكار ، أي : إنكار ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله ...

- و التعطيل يكون بإنكار الاسم والصفة ،كما فعلت الجهمية النفاة ، فإنهم أنكروا كل أسماءه سبحانه و صفاته ، و أثبتوا ذاتا مجردة عن كل اسم و وصف ، و حجتهم في ذلك نفي الجسمية عن الله سبحانه ، لأن الذي يسمى

و يوصف هو الأجسام كالإنسان ، فإنه يوصف بالطول و القصر و بالكلام و البصر و السمع ، فلو أثبتنا لله وصفا أو اسما ، فإننا بذلك نثبت أنه جسم كالإنسان ، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ، و هذا التعطيل تعطيلا كليا ، لأنه نفي و إنكار لكل الأسماء و الصفات ....

- و قد يكون التعطيل جزئيا ، كتعطيل المعتزلة و الأشاعرة ، فإنهم أنكروا جملة من صفات الله سبحانه ، و أثبتوا ما جوزه العقل كصفة الحياة والعلم و الإرادة ...

- و مثال التعطيل : قوله تعالى :

« بل يداه مبسوطتان » الآية ،فيأتي المعطل و يقول : نعم ، لله يد سبحانه ،لكن اليد هي القوة ،فيكون المعنى : بل قوتاه ، فهذا إثبات للفظ و تحريف للمعنى ...

- و التحريف يكون في الألفاظ ، و التعطيل يكون في المعاني دون الألفاظ ،و هذا هو الفرق بينهما ، و قد يكون التعطيل في اللفظ و المعنى كما فعلت الجهمية النفاة ....

- و أهل السنة براء من التحريف و التعطيل ، فإنهم يثبتون ما أثبته الله لنفسه سبحانه و ما أثبته له رسوله -صلى الله عليه وسلم - من غير تحريف للألفاظ و من غير تعطيل للمعاني ...

3- التكييف : هذا هو المحذور الثالث في باب الصفات ، و هو : ذكر كيفية الصفة ، فمثلا نقول : جاء زيد ، فيسأل البعض : وكيف جاء زيد ؟ فهذا سؤال عن الكيفية ، و مثال ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم - « ينزل ربنا إلى سماء الدنيا » فلو قال رجل : كيف ينزل ؟ قلنا : قد أخبرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأن الله ينزل ، ولكنه لم يخبرنا بكيفية النزول ، فنسكت عن ذلك ، لأن الله تعالى قال « ولا تقف ماليس لك به علم » الإسراء : 36 ، و ليس لأحد من الخلق علم بكيفية الصفات ..

- ولذلك قال مالك لمن سأله عن الاستواء : الاستواء معلوم و الكيف مجهول ..لأننا لم نشاهد ربنا و هو يعلو و يرتفع على العرش ، فكيف نصف الكيفية ؟ !

- و الكيفية تثبت بشيئين :

الأول : بالمشاهدة ، و الثاني : بإخبار الشرع لنا ، و نحن ما شاهدنا ربنا وهو يستوي على العرش و لا وهو ينزل إلى السماء الدنيا ، و كذلك لم يأت الدليل من الوحي المنزل بذكر الكيفية ، فوجب الإمساك عنها ....

4- التمثيل : و هو المحذور الرابع و الأخير في القاعدة العامة لأهل السنة ،و المراد به : نفي المماثلة عن الله سبحانه ، فنقول : لله يد سبحانه ، ليست كأيدينا ،و له سمع وبصر و له وجه و عينان ، وكل صفاته ليست كصفات المخلوقين ،

كما قال سبحانه « ليس كمثله شئ » الشوري :11 ، فليس أحد يشبه الله تعالى ، تعالى ربنا و تنزه عن مشابهة خلقه ..

- خلاصة الكلام في هذا الباب هو إثبات ما أثبته الله لنفسه و ما أثبته له رسوله ،إثباتا يليق بجلال الله و عظمته ، لا تحريف فيه و لا تعطيل و لا تكييف و لا تمثيل ، تعالي الله عن كل ذلك ...

(10) عقيدة أهل السنة و الجماعة ...

- باب الأسماء و الصفات ...

- التفويض في باب الصفات ليس من عقيدة أهل السنة ...

-المفوضة الذين يقولون : نؤمن بالصفة ،و لكننا نجهل المعنى لأنه علمه عند الله وحده ، فلا نخوض في المعاني ...

- فمثلا : قوله تعالي « الرحمن على العرش استوى » الآية ، يقول المفوض : نعم ، استوى على العرش ، لكن لا أعرف معنى الاستواء ، فهو يؤمن باللفظ و يجهل المعنى و يعتقد أن علمه عند الله وحده ، و هذا غلط عظيم جدا ، لأن الله خاطب العقول بما تفهم و بما تفقه ،و لذلك قال شيخ الاسلام ابن تيمية : إن قولهم هذا أشر من أقوال أهل الإلحاد ، لأنه ينبني عليه أن الله خاطب العقول بما لا تفهم ، وهذا محال ...

- و قد يقول بعض الناس : هذا المذهب أسلم من مذهب السلف ،لأن تفويض المعاني إلى الله سبحانه فيه السلامة ، و الحقيقة أنه ليس كذلك ، لأن الله تعالي يقول « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ » النحل : 89 ،

فلو كانت آيات الصفات مجهولة المعني ، فأي بيان في كتاب الله نجده ؟ فلذلك القول بالتفويض شر كبير ، لأن صفات الله تعالي معلومة لنا من حيث المعني ، و هذا قول السلف عامة ، فالتفويض في المعاني مذموم ..

- و لذلك نقول : طريقة السلف أسلم ، لأن فيها اتباع الكتاب و السنة بلا زيادة و نقصان ، و نقول : و طريقة السلف ايضا أعلم و أحكم ، نعم هي الأعلم ، لأنهم يعرفون معاني ما يؤمنون و لا يجهلونه ،و هي كذلك الأحكم ، لأن مقتضي الحكمة أن يكون الرجل مدركا لحقيقة ما يؤمن به ، لا أن يجهله و يتعامى عنه مدلوله ..

- لكن قال بعض الأغبياء :

« طريقة السلف أسلم ، و طريقة الخلف أعلم و أحكم » فكيف تكون طريقة السلف أسلم و هي ليست الأعلم و لا الأحكم ؟! لاشك أنه هذا تناقض كبير ..

- ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « هذه مقولة قالها بعض الأغبياء » ...

- و قال بعض العلماء :

أنكر الإمام أحمد رحمه الله وغيره من أئمة السلف على أهل التفويض , وبدّعوهم لأن مقتضى مذهبهم أن الله سبحانه خاطب عباده بما لا يفهمون معناه ولا يعقلون مراده منه , والله سبحانه وتعالى يتقدس عن ذلك , وأهل السنة والجماعة يعرفون مراده سبحانه بكلامه ، ويصفونه بمقتضى أسمائه وصفاته وينزهونه عن كل ما لا يليق به عز وجل .

- فالحاصل أن السلف يؤمنون بالصفة و يؤمنون بمعناها الذي دلت عليه ، أما القول بأن معاني الصفات مجهولة ، فهذا قول المفوضة ، و هو باطل بالنص و الإجماع و العقل ...

- لكن : إذا قال البعض : نحن نفوض في الكيفية ، قلنا هذا حق و هو عقيدة أهل السنة ، لأننا لا نستطيع إدراك كيفية الصفة ، فلا نعلم كيف استوى الرب على عرشه ولا كيف نزل إلى سماء الدنيا ،لكنه استوى و نزل ، و الاستواء و النزول معلوم معناهما عند كل ذي عقل ...

- و على ذلك نقول : يمكن لنا أن نقسم الناس في باب الصفات أقساما :

1-أهل السنة و الجماعة :

يؤمنون بكل أسماء الله و صفاته على الوجه الذي يليق به سبحانه ، إثباتا بلا تحريف أو تعطيل أو تكييف أو تمثيل ..

2- المعطلة : وهم الذين ينكرون أسماء الله و صفاته ، إما إنكارا كليا كالجهمية ،أو جزئيا كالمعتزلة و الأشاعرة ...

3- الممثلة : الذين يشبهون الله بخلقه ،وهم الصوفية المشركة ، الذين يقولون بالحلول و الاتحاد ، و يعتقدون أن الرب هو العبد و هو كل عباده ، سبحانه ...

4- المفوضة : وهم الذين يثبتون الصفة ،و يقولون : نجهل المعنى ..أه..

11) عقيدة أهل السنة و الجماعة ...

- باب الأسماء و الصفات ..

- أهل السنة يقسمون صفات الله بعدة اعتبارات مختلفة :

القسم الأول : الصفات الذاتية و الفعلية ...

- فأما الصفات الذاتية : فهي الصفات التي لم يزل ولا يزال الله متصفا بها ،فلا تنفك عنه سبحانه ، و من ذلك : العلم ، والقدرة ، و الحياة ، و السمع والبصر ، و الوجه ، و اليدان ، و العينان ، فإن هذه الصفات هي حقيقة ذات الرب سبحانه ، ويسميها العلماء الصفات اللازمة ، أي : التي لا تنفك عن الذات ..

- و نحن لا نقول إن هذه الصفات أبعاض و أجزاء ، كما يقول ذلك أهل البدع ،و إنما نؤمن بهذه الصفات كما وردت بها النصوص و لا نزيد و لا ننقص ...

- ثانيا : الصفات الفعلية : هي التي تتعلق بمشيئة الله سبحانه ، إن شاء فعلها و إن شاء لم يفعلها ،كالاستواء على العرش ،و النزول إلى سماء الدنيا ، و الغضب و الفرح ، ويسميها العلماء : الصفات الاختيارية ...

- وهذه الصفات كلها مردها إلى الخبر الشرعي ، فليس للعقول دخل فيها ،إلا أن تؤمن بها على الوجه الشرعي ،دون تحريف أو تأويل ...

- القسم الثاني : صفات الجمال و الجلال .

فأما صفات الجمال : وهي الصفات التي تبعث في القلب محبة الله سبحانه ، مثل : صفة الرحمة و المغفرة و الرأفة ،والطيبة ، فإن الله طيب ، و صفة العفو ،وكل صفة تبعث في النفس الطمأنينة ..

- و أما صفات الجلال : فهي الصفات التي تبعث في القلب مخافة الله و تعظيمه و إجلاله و توقيره ، مثل :

صفة القوة و القدرة و القهر و الجبروت ، والعظمة و الكبرياء ...

- القسم الثالث : الصفات الثبوتية و السلبية ...

فأما الثبوتية : فهي كل ما أثبته الله لنفسه من الصفات أو أثبتها له رسوله ،كالحياة و العلم و القدرة و الاستواء ..

و أما السلبية : وهي كل صفة نفاها الله عن نفسه أو نفاها عنه رسوله ، كصفة الموت و النوم و الظلم ، فهذه صفات نقص ، يجب نفيها عن رب العالمين ..

12) عقيدة أهل السنة و الجماعة ...

- باب الأسماء والصفات ..

- نذكر في هذا المقال خاتمة القواعد و الضوابط في باب الأسماء و الصفات فنقول :

1- أسماء الله كلها حسنى ..

يعني : تضمنت غاية الحسن و الجلال والكمال ، فلا نقص فيها بوجه من الوجوه كما في قوله تعالى : « ولله الأسماء الحسنى » الأعراف :180، وكونها حسنى أي : أنها تدل على الأوصاف الحسنة ،ولذلك كل اسم من أسماء الله يدل على صفة له تعالى ، هذه الصفة تتضمن الكمال المطلق ، فاسمه الرحمن يدل على صفة الرحمة ، و صفة الرحمة تبعث في النفس الطمأنينة ، لأن رحمة الله بعباده تقتضي جلب ما ينفعهم و دفع ما يضرهم ، و من آثار رحمة الله بعباده إنزال الكتب و إرسال الرسل ، لبيان الطريق الموصلة إليه سبحانه والتي فيه رضاه ...

- و إذا كانت أسماء حسنى ، فإن ذلك يدل على أن « الدهر » ليس من أسماء الله تعالي ، لأنه لا حسن فيه ، فقد ورد في الحديث « لا تسبوا الدهر فأنا الدهر ،بيدي الأمر ، أقلب الليل و النهار » رواه البخاري ، و بهذا نحتاج تأويلا صحيحا للحديث ، فنقول : الدهر هنا هو الأيام والليالي والمعني : أنا مالك الأيام و الليالي ، أقلبها كيف أشاء ، و أتصرف فيها بحكمتي ، فليس الدهر هو الله ، بل هو رب الدهر سبحانه ...

2- أسماء الله لا تنحصر بعدد معين ..

لقوله -صلى الله عليه وسلم- في الحديث «أسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك» وما استأثر الله به في علم الغيب عنده لا يمكن حصره ،والجمع بين هذا وبين قوله في الحديث الصحيح: « إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة » أن نقول : التسعة والتسعون اسما ، هذا ما علمناه ،ولله مالم نعلم به من الأسماء و الصفات ،قد استأثر به نفسه أي خص به نفسه ...

3- من صفات الله ما لا يطلق عليه إلا مقترنا بمقابله ، لأنه لو أطلقناه منفردا ،لكان ذما لله سبحانه ، فنقول : « ويمكرون ويمكر الله » الآية ، لكن لا نقول إن الله ماكر ، لأن ذلك نقصا لو أطلقناه منفردا ، فالله لا يمكر بعباده ،إلا من مكر و خادع فيجازيه من جنس عمله الردئ ...

- على كل حال هذه مجموعة من القواعد و الضوابط في باب الأسماء والصفات ،يبقى لنا أمران في الباب :

الأول : نتكلم عن تفسير أسماء الله و صفاته ، لأننا لن نعرف الله حقا إلا بالتعرف على أسماءه و صفاته ...

الثاني : لنا حديث عن الفرق التي ضلت في باب الصفات ، نذكر أصولها و نشأتها ،و نرد عليهم و نبين باطلهم ، والله المستعان ....

(13) عقيدة أهل السنة و الجماعة ..

- باب الأسماء و الصفات ..

- تفسير أسماء الله الحسنى ...

- نقول أولا : إن الله عز جلاله قال في كتابه « و لله الأسماء الحسنى » الآية ،فهذه جملة خبرية ، يخبرنا الله سبحانه بأن له أسماء ، ثم وصفها بأنها حسنى ،و الحسن فيها أنها تدل على أوصاف له سبحانه ، هذه الأوصاف هي نعوت جلال و جمال و بهاء لا نقص فيها بوجه من الوجوه ، فلذلك كل أسماءه سبحانه هي أعلام على ذاته الشريفة و أوصاف لها ،هذه قاعدة أهل السنة و الجماعة ، أحببت التنبيه عليها و الله الموفق ...

(1) الله : اسم من أسماء الله تعالى ،

يدل على الذات الإلهية الشريفة ،يعني :لو أنني قلت : الله ، فإنني أشير إلى ربي و معبودي ، فهو الذي تسمى بهذا الاسم وحده دون ما سواه ، و هل تعلمون أحدا سمى نفسه بهذا الاسم « الله » ؟

بالقطع لا ، لم يتجرأ الخلق على ذلك ،بل إن أكفر الكفار ما فعل ذلك البتة ..

- ولذلك نقول : إن الاسم المعظم « الله » له خصيصة لفظية و هي :

أنه ما تسمى به غير رب العالمين ...

- و كذلك له خصائص معنوية و منها : أنه ما ذكره خائف إلا و أمن ما يخاف و يحذر ، و ما ذكره ضال إلا و اهتدى ،و ما ذكره ذليل إلا وصار عزيزا ، و ما ذكره ضعيف إلا و صار قويا ، و غير ذلك لا يحصيه إلا

رب العالمين ، وقد تكلم ابن القيم عن هذه الخصائص في المدارج فمن رجع إليه أفاد نفسه ..

و معناه : المعبود محبة وتعظيما و تذللا ، فهو دال على كونه تعالى مألوها معبودا ..

و العلماء يتنازعون فيه هل هو مشتق أم جامد ؟ أما من جهة اللغة فهو مشتق بلا ريب و هذا قول سيبويه و الخليل ،و قد غلط من نسب إلى سيبويه القول بالجمود ، و أما من جهة العقل فلابد من القول باشتقاقه ، لأننا لو قلنا بالجمود وعدم الاشتقاق ، لانتفى الحسن المذكور في قوله تعالي « ولله الأسماء الحسنى » الآية ، فكيف يوصف بالحسن مالا يدل على الوصف الحسن ..

- وقد ورد اسمه تعالى « الله » في القرءان (1762) مرة موزعة على أكثر سور القرآن الكريم المائة والأربعة عشر ، إلا أنه لم يذكر في تسع و عشرين سورة، و منها القمر والرحمن و الواقعة ...

(14) عقيدة أهل السنة والجماعة ..

- باب الأسماء و الصفات ..

- تفسير أسماء الله الحسنى ..

(2) الرحمن الرحيم ..

اسمان من أسماء الله تعالى ، يدلان على صفة الرحمة ، و صفة الرحمة هي :« حنو الله على خلقه و شفقته بهم ،بجلب ما ينفعهم و دفع ما يضرهم »، فالله يحنو على خلقه ، فهو الحنان سبحانه ، و من آثار رحمته إرسال الرسل و إنزال الكتب لبيان الطريق الموصل إليه سبحانه ، فما من خير إلا ودل العباد عليه، و ما من شر إلا وحذرهم منه رحمة منه تعالى بخلقه و مراعاة لضعفهم وحاجتهم إليه ، فهو الرحمن الرحيم ..

- والرحمن يدل على الوصف الذاتي الأزلي ، يعني : أنه سبحانه موصوف بالرحمة و أن هذه الصفة لا تنفك عن ذاته سبحانه ، و الذي جعلنا نقول ذلك : أن الرحمن على وزن فعلان ، و هذا الوزن في لغة

العرب يدل على الامتلاء و الكثرة و السعة ، و منه عطشان لمن كان شديد الظمأ ، و جوعان لمن كان شديد الجوع ، و غضبان لمن كان شديد الغضب ..

- و لذلك قال العلماء : الرحمن هو ذو الرحمة الواسعة ، و قالوا : رحمن الدنيا و الآخرة ، و على هذا فاسمه تعالي الرحمن هو وصف أزلي قائم بذاته لا ينفك البتة ،و لذلك نقول : الرحمن يدل على الرحمة العامة ، فرحمة الله تشمل الجن و الإنس و البهائم ، حتى الكفار يرحمهم الله ..

- و أما الرحيم فهو يدل على الرحمة الخاصة ، خص بها أهل الإيمان و التوحيد كما قال « و كان بالمؤمنين رحيما » الآية ، و لم يقل رحمانا ، لأن هذه رحمة خاصة بأهل الإيمان ، لما خصوه بالعبادة و الطاعة ، خصهم برحمته سبحانه ...

- قال سبحانه « وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ » البقرة:16 ...

- وقد ورد اسمه تعالى الرحمن في القرءان 57 مرة و أما الرحيم 114 مرة ..

(3) الحي القيوم : أما الحي فهو اسم من أسماء الله تعالى ، يدل على صفة الحياة ،و الحياة ضد الموت ، و هي حياة كاملة ،لم يسبقها عدم و لا يلحقها فناء ، و لا يعتريها نقص ولا مرض و لا نوم و لا ضعف ، فهي حياة كاملة تامة ...

- و أما القيوم : أي الذي قام بنفسه فلم يحتج لأحد من خلقه ، و قام بخلقه فلم يحوجهم إلى أنفسهم و لا إلى غيره سبحانه ، فهو الغني بذاته سبحانه ..

- قال تعالى « اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ » البقرة: 255 ، والعلماء يقولون :

إن الله واجب الوجود ، يعني :

لا يتصور العقل عدم وجوده ، لأن بوجوده توجد كل المخلوقات ، فوجود المخلوقات دليل على وجود الله تعالى وجودا واجبا ، أما الإنسان فهو ممكن الوجود ، فيجوز في العقول أن يكون الإنسان موجودا و معدوما ...

(15) عقيدة أهل السنة والجماعة ..

- باب الأسماء و الصفات ..

- تفسير أسماء الله الحسنى ..

(4)العلي : اسم من أسماء الله تعالى يدل على صفة العلو ، يعني :

أن الله تعالى فوق كل المخلوقات بذاته ،وهذا العلو ثابت بالكتاب و السنة و الإجماع و العقل و الفطرة ...

فأما الكتاب : فقوله تعالى :

« يخافون ربهم من فوقهم » الآية ، و قوله تعالي « سبح اسم ربك الأعلى » الآية ، و قوله « أأمنتم من السماء » الآية ، أي : من علا عليها و على كل خلقه ،و أما السنة :« فإنه - صلى الله عليه وسلم- سأل الجارية : أين الله ؟ قالت : في السماء » الحديث ،، أي : فوقها ،فأقرها - صلى الله عليه وسلم - و لم ينكر قولها ، و أما الإجماع : فإن الصحابة أجمعوا على أن الله فوق خلقه كلهم ،و لم يقل واحد منهم بنفي العلو ..

. وأما العقل : فإن كل عاقل يعلم أن العلو كمال ، و نحن نصف الله بكل كمال و ننفي عنه كل نقص ، فيجب أن نثبته لله ،و أما الفطرة : فكل من قال يارب و سأل الله شيئا ، فإنه يرفع يديه و يتجه ضرورة إلى السماء ، لأنه يعلم أن الله فوقه ...

- و على هذا نقول : صفة العلو ثابتة لله سبحانه ، و العلو قسمان :

الأول : علو الذات ، وهو الذي ذكرناه ،فالله فوق كل الخلق جميعا ، و أدلة ذلك كثيرة ، و الثاني : علو الصفات ، فكل صفاته سبحانه تدل على علو شأنه و جاهه فلا نقص فيها بوجه من الوجوه ..

- وهنا مسألة مهمة ننبه عليها :

صفة العلو شئ و الاستواء شئ آخر ،و إن كانت كلتاهما تدلان على علوه سبحانه ، إلا أن العلو صفة ذاتية أزلية لا تنفك عن الله سبحانه ، و الاستواء صفة فعلية تتعلق بالمشيئة ...

قال الشيخ عبدالرزاق البدر :

(بين صفتي العلو والاستواء بعض الفروق ، منها : أنَّ العلو صفة ذاتية لله تعالى . أما الاستواء فهو صفة فعلية اختيارية تتعلق بالمشيئة . ومنها : أنَّ الاستواء صفة خبرية : دل عليها الخبر ، ولولا الخبر والأدلة التي جاءت في الكتاب والسنة لما عرف الناس هذه الصفة . أما العلو فهو صفة دل عليها العقل مع دلالة الخبر ، فالعقل يدل على علو الله) انتهى من تذكرة المؤتسي ..

- و قال بعض العلماء :

العلو صفة من صفات الله، والاستواء صفة من صفات الله، فما الفرق بينهما بين الصفتين؟ يتبين الفرق واضحا بين هاتين الصفتين من وجهين:

الوجه الأول: أن العلو من صفات الذات، فهو ملازم للرب الرب لا يكون قط إلا عاليا، والاستواء من صفات الأفعال، وكان بعد خلق السماوات والأرض كما أخبر الله بذلك في كتابه، فدل على أنه -سبحانه- تارة كان مستويا على العرش وتارة لم يكن مستويا عليه، فاستواؤه على العرش كان بعد خلق السماوات والأرض العرش مخلوق قديم، ولكن استواء الله على العرش كان بعد خلق السماوات والأرض، فالاستواء علو خاص، فكل مستو على شيء عال عليه، وليس كل عال على شيء مستويا عليه .

فالأصل أن علوه سبحانه على المخلوقات وصف لازم له، كما أن عظمته وكبرياءه وقدرته كذلك، وأما الاستواء فهو فعل يفعله سبحانه بمشيئته وقدرته، ولهذا قال: ثم استوى .

الثاني : أن العلو من الصفات المعلومة بالسمع والعقل هذا الفارق الثاني، العلو من الصفات المعلومة بالسمع والعقل، وأما الاستواء على العرش فهو من الصفات المعلومة بالسمع لا بالعقل، يعني أن العلو صفة العلو ثابتة بالعقل والشرع كل الناس يثبتون ويدركون أن الله في العلو حتى البهائم أما الاستواء على العرش هذا ما عرف إلا من الشرع، والعلو من الصفات الذاتية من الصفات التي اشتد فيها النزاع صفة العلو من الصفات التي اشتد فيها النزاع بين أهل السنة وبين المخالفين من أهل البدع، فهي من الصفات العظيمة ..

(16) عقيدة أهل السنة والجماعة ..

- باب الأسماء والصفات ..

- تفسير أسماء الله الحسنى ..

(5) العظيم : ذو العظمة و هي كمال قدرته و قوته وسلطانه و علمه ، فما من وصف له إلا وهو عظيم فيه ، عظمة لا نقص فيها بوجه من الوجوه ، فله المجد والبهاء و الجلال ، قال تعالى : « لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ الشورى: 4 ..

- قال السعدي رحمه الله: العظيم: الجامع لجميع صفات العظمة والكبرياء والمجد والبهاء الذي تحبه القلوب، وتعظمه الأرواح، ويعرف العارفون أن عظمة كل شيء، وإن جلت في الصفة، فإنها مضمحلة في جانب عظمة العلي العظيم.

(6) الأول ، الأخر ، الظاهر ، الباطن ..

- قال تعالى: « هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » الحديد: 3 ، وهذه الأسماء فسرها النبي صلى الله عليه وسلم تفسيراً كاملاً فقال: « أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء » رواه مسلم ..

- الأول : فليس لأوليته ابتداء زمني ،لأن الزمان لا وجود له في حق الله تعالى ، فهو خالق الزمان و المكان ، ولا يحيط به زمان ولا مكان ، و

لذلك كان الله ولا شئ معه من هذه المخلوقات ، ثم خلق العرش و القلم و أمر القلم أن يكتب مقادير كل شئ قبل خلق السموات و الأرض ، فسبحان الله رب العالمين ..

- و الآخر : الذي يبقى و لا يفنى ، بل كل شئ يفنى ويزول ، و ينادي ربنا قائلا : لمن الملك اليوم ؟ فلا يجد من يجيبه ، لأن الكل قد زال و أفناه رب العالمين ، فيجيب الرب نفسه : لله الواحد القهار ...

- و كونه سبحانه أولا و آخرا ، فهذا يتعلق بصفة الوجود ، الموجودات كلها جاءت من العدم و يلحقها فناء ، فله أول و آخر من حيث الزمن ، أما رب العباد فلا أولية لوجوده و لا آخرية ، بل هو الأول و الأخر ..

- و بعض العلماء يعبر عن الأولية بالقديم و هذا و إن كان حقا من حيث المعنى ، لكن التزام النص أولى ..

- و الظاهر : الذي علا فوق كل شئ بذاته و صفاته ، فكل من سواه تحته ، و كل من سواه مضمحل أمامه لا وزن له و لا منزلة و لا جاه ، فسبحان الذي ظهر و خفي كل شئ أمام عظمته ..

- و الباطن : الذي خفي عن عيون خلقه ، فلا يرون ذاته ، بل يرون ما يدل عليه من آياته و مخلوقاته ، فهل تستطيع الأبصار إدراكه ؟ لا ، نور كيف تراه ؟ لو كشف الحجاب لأحرق نوره كل ما انتهى إليه ، و لا منتهى لنوره سبحانه ...

17)عقيدة أهل السنة والجماعة ...

- باب الأسماء و الصفات ...

- تفسير أسماء الله الحسنى ...

(7)الخالق، البارئ، المصوِّر ..

- قال تعالى: « هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى »الحشر: 24،

-الخالق : اسم من أسماء الله يدل على صفة الخلق ، و معناها :

الإيجاد من عدم ، المسبوق بالتقدير ،فالله أوجد هذه المخلوقات ولم تكن شيئا ، بل كانت في العدم المحض ، وهذا الإيجاد قدره تقديرا ، ولذلك نقول :إيجاد الله للمخلوقات يتصف بأمرين :

الأول : أنه إيجاد لمعدوم حقيقة ،

والثاني : أنه إيجاد مقدر بتقديرات ،فالإنسان مثلا : لم يكن شيئا مذكورا ،فأوجده الله من العدم المحض ، و قدر له رزقه و أجله و شقي أم سعيد ، كل ذلك في كتاب مبين ..

- و كونه سبحانه خالقا للكون بما فيه علويه و سفليه ، هذا قد أقر به عامة الخلق كما قال تعالى « وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ » الزمر: 38 ، فلم ينكر ذلك أحد ..

- و نحن نقول : إن الله عزوجل هو خالق العباد و موجدهم من العدم المحض ،و نعتقد ذلك عقيدة خالصة لاشك فيها ،فإذا ثبت ذلك فإننا نقول : إن ذلك دليل على البعث بعد الموت ،لأن الذي خلق الإنسان من عدم محض أول مرة ، لا يعجز عن خلقه مرة ثانية ،فالذي يفعل الشئ مرة، قادر على أن يكرره مرة أخرى ، ولذلك لما أنكر كفار قريش أن الله يبعثهم قال سبحانه :

« زعم الذين كفروا ألن يبعثوا . قل بلى وربي لتبعثن » الآية ، فسمى إنكار البعث زعما أي قولا كاذبا ، إذ كيف يقرون بأن الله خلقهم أول مرة ، ثم ينكرون أنه قادر على إعادة ذلك الخلق مرة ثانية ؟!

- فالحاصل أن الله هو خالق الكون بما فيه علويه وسفليه ، و الإيمان بذلك ينبني عليه الإيمان بعقيدة البعث ...

- البارئ : هو الذي ينفذ ما قدره و يخرجه للوجود ، و نضرب مثالا لذلك : الإنسان يفكر في أشياء كثيرة و يرتب في نفسه سأفعل كذا وكذا ، ثم لا يفعل ما قد رتبه و عزم عليه ، يمنعه من ذلك مانع يجعله عاجزا عن الفعل ..

- ورب العباد سبحانه يقدر الأمور و يرتبها ثم يفعلها و يخرجها للوجود ، لا يمنعه من ذلك مانع ولا يعجزه شئ عن ذلك ، وهذا معنى كونه بارئا سبحانه ، و في ذلك يقول الشاعر :

ولأنت تفري ما خلقت .. وبعض القوم يخلق ثم لا يفري ..

يعني : أنت يا ربي تفري أي تنفذ كل ما قدرته و أردت إيجاده ، و بعض الناس يرتب الأمور و يريدها و لكنه يعجز عن إيجادها ، فسبحانك يا الله ...

- المصور : الذي جعل لكل مخلوق صورة يتميز بها عن غيره ، فالإنسان له صورة ،و الحيوان له صورة ، و السموات لها صورة ، و الأرض لها صورة ، و كل خلقه ،حتى الإنسان في صورته ليست واحدة ،فكل إنسان له صورة تختلف عن غيره

من بني جنسه ، فسبحان من صور الخلق بقدرته و إبداعه ، وله الحمد في الأولى و الآخرة ..

(18) عقيدة أهل السنة و الجماعة ..

- باب الأسماء و الصفات ..

- تفسير أسماء الله الحسنى ..

(8) العليم الخبير ...

-العليم : قال تعالى:« إنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » الأنفال:75 ، و العليم اسم من أسماء الله تعالى ، يدل على صفة العلم ،و علم الله تعالى لم يسبقه جهل و لا يلحقه نسيان ، كما قال سبحانه :

« قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى » طه ،، قال السعدي : وهو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن والإسرار والإعلان، وبالواجبات والمستحيلات والممكنات، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي والحاضر والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء ...

- الخبير : قال تعالى:

« قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِير » التحريم ،، و الخبير اسه تعالى ، يدل على صفة الخبرة ، و هي علمه ببواطن الأمور و دقائها ، قال أبو حامد الغزالي : الخبير الذي لا تعزب عنه الأخبار الباطنة ولا يجري في الملك والملكوت شيء ولا يتحرك ذرة ولا يسكن ولا يضطرب نفس ولا يطمئن إلا ويكون عنده خبره. وهو بمعنى العليم، لكن العليم إذا أضيف إلى الخفايا الباطنة سمي خبرة وسمي صاحبها خبيراً ...

(9) الغني الحميد ..

- الغني : قال تعالى:« يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ » فاطر: 15، فالغني من أسماءه سبحانه ، يدل على صفة الغنى ، فهو الغني الذي بيده خزائن السماوات والأرض، وخزائن الدنيا والآخرة المغني جميع خلقه غنى عاما، والمغني لخواص خلقه مما أفاض على قلوبهم من المعارف الربانية الحقائق الإيمانية ..

- و الغني هو الذي استغنى عن كل خلقه ،فلا يحتاج إليهم ، بل كلهم فقراء إليه ..

- و ما أحسن ما قال بائع الفاكهة :

كيف أخاف الفقر و أنا عبد الغني ؟

نعم ، لا ينبغي لعبد أن يخشى الفقر ،لأنه عبد للغني سبحانه ...

- الحميد : قال تعالى: « وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيد» البقرة ،، و الحميد اسم لله تعالى ، وهو بمعنى المحمود أي : الذي يحمده العباد لجميل أفعاله و صفاته ، فإنه سبحانه إذا فعل شيئا لا يكون فيه غلط و لا خطأ ، بل كل أفعاله محكمة ،

يستحق الحمد عليها ، فكل خير بين يديه و كل شر ليس إليه ..

- ولذلك فنحن نحمد الله في السراء وفي الضراء على أفعاله و صفاته ، فكل صفاته كمال لا نقص فيها ، يستحق الحمد عليها..

(10) الملك ، القدوس ، السلام ...

- قال تعالى: «هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ » الحشر ،، ..

- الملك : الذي يملك كل شئ في هذا الكون ، ويتصرف فيه كيف يشاء ،يغفر ذنبا؛ ويفرج كربا؛ ويكشف غما، وينصر مظلوماً؛ ويأخذ ظالماً، ويفك عانيا؛ ويغني فقيراً، ويجبر كسيراً؛ ويشفي مريضاً، ويقيل عثرة؛ ويستر عورة، ويعز ذليلاً؛ ويذل عزيزاً؛ ويعطي سائلاً، ويذهب بدولة ويأتي بأخرى؛ ويداول الأيام بين الناس؛ ويرفع أقواماً ويضع آخرين، ويسوق المقادير التي قدرها قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام إلى مواقيتها؛ فلا يتقدم شيء منها عن وقته ولا يتأخر، بل كل منها قد أحصاه كما أحصاه كتابه؛ وجرى به قلمه؛ ونفذ فيه حكمه؛ وسبق به علمه، فهو المتصرف في الممالك كلها وحده؛ تصرف ملك قادر قاهر، عادل رحيم، تام الملك؛ لا ينازعه في ملكه منازع؛ ولا يعارضه فيه معارض، فتصرفه في المملكة دائر بين العدل والإحسان؛ والحكمة والمصلحة والرحمة..

- القدوس : قال ابن القيم رحمه الله: القدوس: المنزه من كل شر ونقص وعيب كما قال أهل التفسير هو الطاهر من كل عيب المنزه عما لا يليق به وهذا قول أهل اللغة.

- السلام : قال ابن القيم : أما السلام فإنه الذي سلم من العيوب والنقائص ووصفه بالسلام أبلغ في ذلك من وصفه بالسالم ومن موجبات وصفه بذلك سلامة خلقه من ظلمه لهم فسلم سبحانه من إرادة الظلم والشر ومن التسمية به ومن فعله ومن نسبته إليه فهو السلام من صفات النقص وأفعال النقص وأسماء النقص المسلم لخلقه من الظلم ولهذا وصف سبحانه ليلة القدر بأنها سلام والجنة بأنها دار السلام وتحية أهلها السلام ...

19) عقيدة أهل السنة والجماعة ...

- باب الأسماء والصفات ..

- تفسير أسماء الله الحسنى ..

(11) المؤمن المهيمن العزيز ...

- قال تعالى « هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُون » َ[الحشر: 23]...

- المؤمن : أي : الذين يعطي عباده الأمن فلا يظلمهم ، فكل الخلق في مأمن من جانب الله سبحانه إذ لا ظلم و لا هضم للحقوق ، فهو أعدل من حكم و قضى بين عباده كما قال سبحانه « ولا يظلم ربك أحدا » الآية ،، فكل الناس مؤمنين و كفار في أمان من الظلم و يشملهم عدل الله سبحانه ...

- و المؤمن : الذي يهب عباده المؤمنين الأمان وراحة البال و الطمأنينة في الدنيا و يعطيهم الأمان من عذابه يوم القيامة ..

- و المؤمن : الذي إذا لجأ إليه الخائفون أذهب عنهم الخوف و الهلع و الذعر ، فلا أمان إلا مع الله وحده دون ما سواه ..

- و المؤمن : الذي يأمنه العصاة أن يفضحهم أمام خلقه ، فما من عبد عاص إلا و هو يعلم أن الله يستره و لا يفضحه ،فهو يأمن ربه على أسرار عصيانه ، فنعم الرب لا يهتك سر عبده إذا عصاه ..

- و المؤمن : الذي يصدق عباده إذا آمنوا به و أقبلوا عليه ، فيصدقهم و يقبل إيمانهم ولا يردهم ، و الإنسان قد يكذبه الناس في إيمانه ولا يقبلونه ، فإن الرجل قتل تسعة وتسعين نفسا ، ثم أراد التوبة

و الإنابة ، فذهب إلى راهب يسأله :

هل لي من توبة و قد قتلت تسعة و تسعين نفسا ؟ فرده الراهب و لم يقبل منه أن يتوب إلى ربه ، و كذبه في إيمانه ،و لكن الله صدق عبده و قبل منه إيمانه ،بل وقضى له بالجنة ، فسبحان الذي يصدق عبده إذ كذبه الناس ، و يقبله إذ رفضه الناس ، فله الحمد في الأولى و الأخرة ...

- المهيمن : مهيمن على مخلوقاته أي مطلع وشاهد على كل شيء لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك

ولا أكبر فهو مطلع على خفايا الأمور، وخبايا الصدور، أحاط بكل شيء علماً...

- العزيز :العزيز من العزة أي القوة والغلبة، فالله قوي لا غالب له ولا منازع لحكمه ،و العزيز : من الشيء العزيز أي النادر الذي يصعب وجود مثله، و الله لا مثيل له و لا شبيه و لا نظير سبحانه ..

و العزيز : أي : الممتنع الذي يصعب الوصول إليه ، فلذلك الله يحب عبده اللحوح الذي لا يمل من ذكره و دعاءه ، ويحب عبده الذي يعظمه و يمجده لأنه عزيز رفيع المقام و الشأن سبحانه ...

(20) عقيدة أهل السنة والجماعة ...

- باب الأسماء والصفات ...

- تفسير أسماء الله الحسنى ...

(12) الجبار المتكبر ..

- قال سبحانه « قال تعالى: هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ » الحشر: 23 ..

- الجبار : ذو العظمة و القوة والسلطان ،الذي قهر كل متجبر و طاغ و ظالم ،و الجبار : هو الذي يجبر كسر القلوب برحمته و رأفته ، و يجبر الفقير برزقه الواسع ، و يجبر الذليل بأن يعزه ، و الضعيف بأن يقويه ، و الجاهل بأن يعلمه ،والمريض بأن يشفيه ، فهو الذي يجبر كل كسير و ذليل ...

وقال السعدي: الجبار بمعنى العلي الأعلى، وبمعنى القهار، وبمعنى الرؤوف الجابر للقلوب المنكسرة، وللضعيف العاجز، ولمن لاذ به ولجأ إليه ...

- المتكبر : قال القرطبي: المتكبر الذي تكبر بربوبيته فلا شيء مثله وقيل: المتكبر عن كل سوء ، المتعظم عما لا يليق به من صفات الحدث والذم وأصل الكبر والكبرياء الامتناع وقلة الانقياد ..

- وقال الخطابي: هو المتعالي عن صفات الخلق، ويقال: هو الذي يتكبر على عتاة خلقه إذا نازعوه العظمة ...

- على كل حال قد أحببت أن ألفت النظر إلى باب تفسير أسماء الله ، فهو باب مهم جدا ، لأنه طريق معرفة الله سبحانه ،و غالب الناس في غفلة عنه ، و طلاب العلم يعزفون عنه ولا أدري سبب ذلك العزوف ؟! نبدأ من المقال القادم في ذكر الفرق التي ضلت في أبواب التوحيد

و الله المستعان ...

(21) عقيدة أهل السنة و الجماعة ..

- باب : ذكر من ضل في أبواب التوحيد ..

- الجهمية ..

أولا : نسبة الجهمية و شيوخهم :

تنتسب هذه الفرقة إلى الجهم بن صفوان المقتول في سنة 128هجريا ، و قد ذكر المؤرخون أن الجهمية ظهروا بعد موت الخليفة الراشد عمربن عبد العزيز سنة 101 هجريا ..

- و شيوخ مذهب الجهمية الذين أسسوه و تطور على أيديهم و نشروه أربعة ، وقد ذكرهم الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ج 13 ص 148و هم :

1- الجعد بن درهم : هو مؤسس هذا المذهب و شيخه بلا منازع ، و قد تتلمذ عليه الجهم بن صفوان و أخذ عنه ..

- و ذكر ابن تيمية في الفتاوى أن الجعد بن درهم هو أول من قال بالمقولات الباطلة التي اشتهرت عن هذه الفرقة و منها : نفي الصفات و الاستواء و القول بخلق القرآن و الجبر والإرجاء ...

- و قد قتل الأمير خالد القسري الجعد ذبحا في يوم عيد الأضحي و قال :

أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم ،فإني مضح بالجعد بن درهم ، فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا و لم يكلم موسى تكليما ، ثم نزل من على منبره و ذبحه ، وكان ذلك سنة 125 هجريا كما ذكر الحافظ ابن كثير ...

- و يذكر المؤرخون أن الجعد بن درهم كان يعيش في حي للنصارى و أنه تأثر بهم جدا و بباطلهم و كان لذلك أثر بالغ في فساد عقيدته ، وكان موطنه خرسان وهي إقليم كبير في إيران ..

2- الجهم بن صفوان : رأس الجهمية بعد شيخه الجعد بن درهم ، مات الجهم مقتولا سنة 128 هجريا ، و قتله الأمير الأموي سلم بن أحوز كما ذكر ابن كثير ..

3- بشر المريسي : هو أبوعبد الحميد بشر بن غياث المريسي من بغداد ، كان من كبار الفقهاء و العلماء و هو الذي رسخ مذهب الجهم و ناظر عليه و نصره ، هلك في سنة 218 هجريا ..

4- أحمد بن أبي دؤاد : الضال المجرم المبتدع الذي تسلط على إمامنا أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة ، تزعم هذا البغيض عقيدة بشر المريشي و نصرها و نشرها تزعم القول بخلق القرآن ،وبنفي الصفات و بالجبر والإرجاء لعنه الله ، و آذى الصالحين و المؤمنين و قد هلك مسجونا سنة 240 هجريا ..

ثانيا : نشأة و ظهور الجهمية ..بدأت الدعوة إلى هذه الأفكار الخبيثة في الكوفة على يد الجعد بن درهم ، ثم انتقل بها الجهم بن صفوان إلى خرسان بإيران ، فدعا إليها و نشرها و تبعه خلق و صار له أتباع ، و كان ذلك تقريبا بعد موت عمر بن عبد العزيز سنة 101هجريا ، و قد ساعد على انتشار مذهب الجهم بن صفوان الاضطرابات السياسية التي كانت تشهدها تلك الفترة من حكم بني أمية ،ففي هذه الفترة كانت هناك دعوات للخروج على الأمويين و نزعهم من الحكم ، و في هذا التوقيت كان الجهم بن صفوان ينشر القول بالجبر ، يعني :

أن الإنسان لا إرادة له و لا مشيئة و أن الله هو الذي يفعل كل شئ من خير وشر ،و ما الإنسان إلا كريشة معلقة في الهواء ،تحركها الرياح حيثما

شاءت .. و هذه العقيدة الجبرية هي دعوى للتسليم بالواقع و الرضا بكل ما فيه ، سواء كان خيرا أو شرا ، لأن الإنسان لا قدرة ولا اختيار ، و الذي يفعل كل شئ هو الله سبحانه ، و قد جاءت هذه الدعوة في صالح الأمويين ، لإن فيها إخمادا للثورات عليهم و تسليم الأمور لهم ، فلم يعارضوها بل صار الجهم و أتباعه من أكبر مناصري بني أمية و دعاتها .. و يذكر المورخون أن الجعد بن درهم كان مؤدبا لمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، حتي قال ابن تيمية في الفتاوى ج13 ص 182 :

كان انقراض دولة بني أمية بسبب هذا الجعد المعطل وغيره من الأسباب التي أوجبت إدبارها .. انتهي ..

المهم أن رواج هذه الأفكار الخبيثة التي زرعها الجعد بن درهم و نشرها الجهم بن صفوان ، قد ساعد على انتشارها قبول بني أمية لها لخدمة مصالحهم ، و لكن ذلك كله كان في أواخر حكم الأمويين ..

ثم انقلب الجهم بن صفوان على بني أمية مع الحارث بن سريج التميمي ، فقد ثار الحارث بن سريج على هشام بن عبد الملك مدعيا ظلم بني أمية و فسوقهم ، فقتله هشام سنة 128 هجريا بخرسان ،و قتلوا معه الجهم بن صفوان على يد سلم بن أحوز ...

(22)عقيدة أهل السنة والجماعة ..

- باب : ذكر من ضل في أبواب التوحيد ..

- الجهمية ..

ثالثا : مقالات الجهمية ..

قبل ذكر مقالات الجهمية نشير إلى مسألة مهمة و هي : أن عقيدة الجهمية مستمدة من كلام اليهود و الفلاسفة ، و قد ذكر الشيخ تقي الدين ابن تيمية كلاما يؤيد ذلك فقال : (فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام - أعني أن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة، وأن معنى استوى بمعنى استولى، ونحو ذلك - هو الجعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان، فنسبت مقالة الجهمية إليه ، وقد قيل: إن الجعد أخذ

مقالته عن أبان بن سمعان وأخذها أبان من طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم) . [انظر الفتوى الحموية الكبرى ص 24] ...

- فذكر الشيخ ابن تيمية مسألتين :

الأولى : أن أول من قال بتعطيل الصفات هو الجعد بن درهم مؤسس مذهب الجهمية و عنه أخذ الجهم بن صفوان ..

و الثانية : أن مقالات الجهمية مستمدة من اليهود لعنهم الله ..

- فلذلك نقول : الجهمية ليست فرقة إسلامية ، و نسبتها إلى الإسلام غلط كبير ، و لذلك ابن المبارك لما سألوه عنها قال :

الجهمية ليست من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، و سيأتي معنا نقولات عن السلف و أئمة العلم تقرر ذلك ..

- و إذا قلنا إنهم ليسوا من الفرق الإسلامية ، فلأن إنكار الأسماء و الصفات ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ،و لا فعله الصحابة ، بل الكتاب والسنة فيهما إثبات الأسماء والصفات و كذلك فعل الصحابة رضوان الله عليهم ..

- فلذلك نقرر : ليس في الجهمية قولان لأهل العلم ، الإجماع قائم على كفر الجهمية ، و ذكر ابن القيم في النونية خمسمائة عالم كفروهم ، و هذا بخلاف الخوارج فإن فيهم قولين للعلماء ، المهم هذه مسألة هامة جدا ذكرتها لأهميتها والاعتناء بها ...

- نبدأ في ذكر مقالات الجهمية فنقول :

1- إنكار الأسماء والصفات ..

- الجهمية أنكروا كل أسماء الله وصفاته ،و بعض العلماء يقول إنهم أثبتوا بعض الأسماء ، لكن الذي ثبت عن الجعد و الجهم هو الإنكار ، و هذا يسميه العلماء : التعطيل ، فالمعطلة هم الجهمية النفاة ، و مصطلح المعطلة يدخل فيه المعتزلة و الأشاعرة و كذلك لفظ الجهمية يدخل فيه المعتزلة و الأشاعرة كما ذكر ذلك الشيخ ابن تيمية و نقله عن الإمام أحمد ..

- لكن يأتي سؤال : لماذا أنكر الجهمية أسماء الله وصفاته ؟ و الجواب :

يقول الجهمية : إن إثبات الأسماء والصفات يلزم منه إثبات الجسمية ، يعني : أن الله له جسم كما للإنسان ،فالذي يوصف هو الأجسام ، لأن الصفة عرض و العرض لا يقوم بنفسه بل يقوم بالأجسام ، فأرادوا نفي الجسمية عن الله فنفوا كل أسمائه و صفاته ، و هذا عندهم هو عين التنزيه لله سبحانه ، لأنهم بذلك نفوا مشابهة الله للمخلوق ..

- والجهمية بذلك أثبتوا ذاتا مجردة بلا اسم و بلا وصف ، يعني : أثبتوا لله صفة واحدة و هي صفة الوجود ، لكنه وجود مجرد من كل حقيقة ، فلذلك قولهم بنفي الأسماء والصفات هو في معنى إنكار وجود الله سبحانه وإن لم يصرحوا به ...

- و نقل بعض العلماء أن الجهمية يثبتون لله الأسماء و ينفون ما دلت عليه من الصفات فيقولون : عالم بلا علم ، قادر بلا قدرة ، سميع بلا سمع ، وهكذا في كل أسماء الله سبحانه ، و ذكرت من قبل أنهم ينفون الصفات لأن إثباتها يقتضي عندهم تشبيه الخالق بالمخلوق ، لأن الذي يوصف هو الأجسام و المخلوق جسم ، و أما الله فليس جسما فلذلك لا صفة له ...

قال أبو معاذ البلخي : (كان جهم على معبر ترمذ ، بلد من نواحي إيران ، وكان رجلا كوفي الأصل فصيح اللسان ، لم يكن له علم ولا مجالسة لأهل العلم ، وكان قد تناقل كلام المتكلمين وكلمه السمنية ، فقالوا له : صف لنا ربك الذي تعبده ، فدخل البيت لا يخرج كذا وكذا ، قال : ثم خرج عليهم بعد أيام ، فقال : هو هذا الهواء مع كل شيء وفي كل شيء ولا يخلو منه شيء) ذكره ابن حجر ج 13 ص 359 ..

قال ابن شوذب : (قال الجهم لمن ناظره من السمنية : ألست تزعم أن فيك روحا ؟ قال السمني : نعم فقال له : هل رأيت روحك ؟ قال : لا ، قال : فسمعت كلامها ؟ قال : لا قال : فوجدت لها حسا ؟ قال : لا ، قال : فكذلك الله لا يري له وجه ولا يسمع له صوت ولا يشم له رائحه وهو غائب عن الأبصار وهو في كل مكان ، فالمخلوقات بمثابة الجسد والله في داخلها بمثابة الروح) ابن حجر ج 13 ص359

وهذا الكلام الذي نقله الحافظ ابن حجر فيه مسألتان قررهما الجهم بن صفوان :

الأولى : أن الله في عقيدة الجهمية ذات مجردة عن كل اسم و وصف ..

الثانية : أن الله في كل شئ ، يعني :

أن الله قد حل بذاته في كل مخلوقاته ، وهذه عقيدة الحلول و الاتحاد التي يقول بها غلاة الصوفية ، وهذه هي عقيدة النصارى بل هي أشد فسادا منها ، وقد قال طالب نصراني لقسيس في الكنيسة :أين الله ؟ فجاء القس بشئ من السكر و رماه في كوب ماء ، و قال للطالب : أين السكر ؟ قال الطالب : ذاب في الماء ،فقال القس : وهكذا الله في كل شئ تجده ...

و لذلك الجهمية ينفون صفة العلو و الاستواء ، لأن الله عندهم في كل مكان ،وليس فوق خلقه ، سبحان الله عما يشركون ...

و قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى : و المشهور من مذهب الإمام أحمد و عامة أئمة السنة هو تكفير الجهمية المعطلة لصفات الرحمن ، فإن قولهم صريح في مناقضة ما جاءت به الرسل من الكتاب ، وحقيقة قولهم جحود الصانع ، ففيه جحود الرب و جحود ما أخبر به عن نفسه على لسان رسله ،و لذلك قال عبدالله بن المبارك : إنا لنحكي كلام اليهود و النصارى و لا نستطيع نحكي كلام الجهمية ، و لهذا قال غير واحد من السلف : إنهم أكفر من اليهود و النصارى ، يعني الجهمية ،و لهذا كفروا من يقول : إن القرآن مخلوق ، و إن الله لا يرى في الآخرة ، و إنه ليس على العرش و لا يغضب و لا يرحم ..انتهى ج 12 ص 486 ...

فالحاصل أن الجهمية تثبت لله ذاتا بلا اسم و بلا وصف ، و تنكر علوه تعالى و استواءه و غضبه ورضاه و كل ما يتصف به بدعوى نفي مشابهة الخالق للمخلوق ،هذا أول مقالة لهم نذكرها و سيأتي معنا سائر ما يقولون و الجواب عن هذه البدع و الضلالات ..

(23) عقيدة أهل السنة والجماعة ..

- باب : من ضل في أبواب التوحيد ..

- الجهمية ..

ثالثا : مقالات الجهمية ..

- في المقال السابق تكلمنا عن المقالة الأولى للجهمية ، و هي مقالة التعطيل أي : إنكار كل أسماء الله وصفاته ، و أنهم قالوا بذلك لأن إثباتها يقتضي عندهم تشبيه الخالق بالمخلوق ، فالمخلوق هو الذي نسميه و نصفه لأنه جسم ، و لكن الله ليس بجسم فلذلك لا اسم له و لا صفة ، فأنكروا كل الأسماء و الصفات تحت زعم نفي مشابهة الخالق للمخلوق ،تعالى الله عما يقولون ..

- و نكمل مقالات الجهمية فنقول :

2- قالت الجهمية : علم الله مخلوق ..

- ذكر أبو الحسن الأشعري عن جهم بن صفوان هذه المقولة فقال : قال جهم : إن علم الله محدث هو أحدثه، أي: لم يكن ثم كان .. انتهى ..

ومعنى ذلك : أن الجهمية تنفي عن الله صفة العلم ، و هذا كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « أصل قول جهم هو نفي الصفات » انتهى ،، و لذلك هم يقولون : عالم بلا علم ، و كما قلت سابقا الأصل الذي أقام عليه الجهمية مذهبهم هو :

« نفي الجسمية عن الله » يعني أن الله ليس بجسم كالإنسان ، فلذلك لا يسمونه و لا يصفونه ، فالاسم والوصف للأجسام و الله ليس بجسم ...

- لكن الجهمية أرادوا أن يفروا من نسبة الجهل لله سبحانه ، فنسبوا له العلم لا باعتباره وصفا قائما بذاته تعالى ، و إنما باعتباره مخلوقا له ..

- فعلم الله بالأشياء مخلوق خلقه الله سبحانه ، و هل خلقه في الأزل أم أثناء العمل أم بعده ؟ قالت الجهمية :

لم يخلقه أزلا ، لأن كونه مخلوقا ، هذا يتنافى مع الازلية ، فهو حادث ، فكل مخلوق حادث ، و هذا إمعان في نفي الصفات على طريقة جهم و من تبعه ...

3- قالت الجهمية : كلام الله مخلوق ..

- ذكر أبو إسحاق الإسفرائيني أن الجهم بن صفوان يقول : كلام الله حادث ، أي : مخلوق ، و هذا كقولهم في صفة العلم ، فالله في عقيدة

الجهم لا يتكلم ، ولذلك قال الجهم :

« لا يجوز أن يسمى متكلماً بكلامه » ،يعني : لا نقول إن الله يتكلم ، و هذا أيضا مبني على أصل نفي الصفات ، لنفي مشابهة الخالق سبحانه للمخلوق ..

- مع أن القرآن من أوله إلى آخره مشحون بالتنصيص على أن الله يتكلم و أنه يقول وقوله الحق ، و كذلك السنة الصحيحة الثابتة فيها أن الله يتكلم وكلامه بصوت وحرف ، لكن الجهمية ينكرون ذلك ..

قال الإمام أبو حنيفة : أتانا من المشرق رأيان خبيثان: جهم معطل، ومقاتل مشبه. ومقاتل هو مقاتل بن سليمان الأزدي الخراساني ،وكلاهما كان على النقيض من الآخر، فجهم يقول: إثبات الأسماء والصفات هو تشبيه للخالق بالمخلوق ، و لذلك أثبتوا ذاتا مجردة من اسم و وصف ، و مقاتل بن سليمان الأزدي وقع في بدعة التمثيل والتشبيه، فقال: إن الله متصف بكل ما وصف به نفسه، ولكن كصفات المخلوقين، فله عين كأعين المخلوقين، وسمع كأسماع المخلوقين، وبصر كأبصارهم، وعلم كعلمهم وغير ذلك، فجعل الله تعالى كالمخلوق تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ..

وقال الإسفرائيني : أفرط جهم في نفي التشبيه حتى قال: إنه تعالى ليس بشيء، وأفرط مقاتل في الإثبات حتى جعله مثل خلقه. فأصل دين الجهمية نفي الصفات.

٤- قالت الجهمية : القرءان مخلوق ..

- سبق و عرفنا أن الجهمية قالوا :

كلام الله مخلوق ، و على هذا القول أسسوا للقول بخلق القرءان ، لإن القرءان كلام الله ، و كلام الله مخلوق ، فكذلك القرءان مخلوق ، سبحان الله عما يشركون ..

- و أول من قال بخلق القرءان هو الوليد بن المغيرة أحد كفار قريش ، كما قال سبحانه في سورة المدثر « فقال إن هذا إلا سحر يؤثر . إن هذا إلا قول البشر » المدثر : 24،25 ،، الآيات ...

فالذي قال هو الوليد لعنه الله ، ثم تلقف هذا القول عنه الجعد بن درهم وعنه الجهم ، قال أبوسعيد الدارمي في " الرد على الجهمية " (ص 21) : " وكان أول من أظهر شيئاً منه بعد كفار قريش : الجعد بن درهم بالبصرة ، وجهم بن صفوان بخرسان ، اقتداء بكفار قريش " انتهي .. إذن : الجهمية اقتدوا بكفار قريش في القول بخلق القرءان ، ثم يأتي بعض الناس و ينازع في كفرهم ، هذا ما عرف التوحيد و لا سمع عنه و لا شم رائحته ، هذه غربة ما بعدها غربة ،ومسألة خلق القرءان لها تفصيل و كلام طويل لكن عند ذكرنا للمعتزلة و عقيدتهم ..

5- الجهمية يقولون بالجبر و ينفون استواء الله و ينكرون العرش و الكرسي و ينكرون الرؤية ..

تعتقد الجهمية الجبرية أنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا لله وحده؛ فالله هو الفاعل الحقيقي، والعبد مسلوب الإرادة، مسلوب المشيئة، ولذلك من الظلم أن يعذب في الآخرة ، و كذلك ينكرون ان الله مستو على عرشه ، لأنه لا

يوجد لله عرش عندهم ، و كذلك قالوا إنه لا كرسي لله و ردوا ذلك ، و أنكروا أن يكون لله تعالى وجه وسمع وبصر ويد، وأنكروا أن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا، وأنكروا النظر إلى الله تعالى، وأن يكون لله حجاب، وأنكروا أن ملك الموت يقبض الأرواح، وأنكروا عذاب القبر، وأنكروا منكراً ونكيراً، وأنكروا الميزان، وأنكروا الكرام الكاتبين ،وأنكر الشفاعة ،كل ذلك أنكره الجهمية ..

٢٤) عقيدة أهل السنة والجماعة ..

- باب : من ضل في أبواب التوحيد ..

- الجهمية ..

ثالثا : مقالات الجهمية ..

- المقالات التي حكاها العلماء عن الجهمية كثيرة جدا ، و كل مقالة تعتبر أصلا مستقلا من أصول الكفر و الجهل ، و قد ذكرت هنا أشهر مقولاتهم وهي :

1- إنكار الاسماء و الصفات ، 2- قولهم بأن علم الله مخلوق ، 3- قولهم بأن كلام الله مخلوق ، 4- قولهم بخلق القرءان ، 5- قولهم بنفي استواء الله على عرشه و نفي رؤيته يوم القيامة و نفي صفات الله المتعلقة بالمشيئة كصفة الغضب و الرضا و الضحك و النزول و غير ذلك ، 6- قولهم بالجبر ، فالإنسان عندهم لا مشيئة له ولا إرادة و لا فعل ، والله فاعل كل شئ حقيقة ، و ما الإنسان إلا كريشة يحركها الهواء كيف يشاء ، 7- قولهم بالحلول و الاتحاد ، فالله عندهم روح حلت في كل شئ ، و لذلك نفوا علوالله تعالى و قالوا :

إن الله في كل مكان في الارض والسماء مختلط بكل مخلوقاته ، سبحان الله عما يشركون ، فهذه أشهر مقولات الجهمية ،سأختم الكلام في مسألة مقولات الجهمية ببعض النقولات عن العلماء لما فيها من فائدة كبيرة ...

قال الإمام ابن تيمية :

تفسير التوحيد بما يستلزم نفي الصفات أو نفي علوه على العرش بل بما يستلزم نفي ما هو أعم من ذلك فهو شيء ابتدعته الجهمية لم ينطق به كتاب ولا سنة ولا إمام .. انتهى كلامه .

بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لابن تيمية – 133/1 ..

ومعنى كلام ابن تيمية : أن تفسير التوحيد بنفي صفات الله و نفي علوه على عرشه هذا لم يأت في كتاب الله سبحانه و لا في سنة رسوله و لا تكلم به أئمة العلم من الصحابة أو التابعين أو أئمة الشريعة المعروفين كأحمد و الشافعي و مالك و أبي حنيفة ، بل هذا من بدع الجهمية ، وقولهم بالنفي هذا هو عين كلام الفلاسفة كأرسطا طاليس وأرسطو و غيرهم من فلاسفة العرب كابن سينا و الفارابي ..

قال ابن القيم في الكافية الشافية عن عقيدة الجبر عند الجهمية :

والعبد عندهم فليس بفاعل بل فعله كتحرك الرجفان وهبوب ريح أو تحرك نائم وتحرك الأشجار للميلان

والمعني : أن الجهمية يعتقدون أن الإنسان مسلوب الإرادة و الاختيار ، ولا قدرة له ولا فعل ، بل هو مثل ورقة في شجرة ، تأتي الرياح تحركها فتتحرك ، وإن سكنت الرياح سكنت ، و لذلك نقول :

مذهب الجبرية أسسه الجهمية ، فهذه الفرقة الضالة خرجت من عباءتها فرق كثيرة و منها الجبرية ، و حقيقة القول بالجبر هو نسبة الظلم لله سبحانه ، تعالى الله عن قولهم ..

و قال ابن تيمية :

قول حلولية الجهمية الذين يقولون إنه بذاته في كل مكان كما تقول ذلك النجارية أتباع حسين النجار وغيرهم من الجهمية وهؤلاء القائلون بالحلول والاتحاد من جنس هؤلاء فإن الحلول أغلب على عباد الجهمية وصوفيتهم وعامتهم، والنفي والتعطيل أغلب على نظارهم ومتكلميهم كما قيل: متكلمة الجهمية لا يعبدون شيئاً، ومتصوفة الجهمية يعبدون كل شيء، وذلك لأن العبادة تتضمن القصد والطلب والإرادة والمحبة وهذا لا يتعلق بمعدوم،

فإن القلب يتطلب موجوداً فإذا لم يطلب ما فوق العالم طلب ما هو فيه.مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية – 83/1

ومعنى ذلك : أن الجهمية منهم رؤوس تقول بالنفي والتعطيل المطلق ، فهؤلاء لا يعبدون شيئا ، لأن الإله عندهم لا وجود له ، لأنه لا اسم له ولا وصف و لا حقيقة ، بل هو شئ موجود في الذهن ..

و منهم عامة صوفية جهال يعتقدون أن الله في كل شئ وهذه عقيدة الحلول ، وهي أشر من عقيدة النصارى ..

وقال ابن تيمية :

قال رجل لعبد الله بن المبارك: يا أبا عبد الرحمن قد خفت الله من كثرة ما أدعو على الجهمية، قال: لا تخف فإنهم يزعمون أن إلهك الذي في السماء ليس بشيء.

وقال جرير بن عبد الحميد: كلام الجهمية أوله شهد وآخره سم، وإنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء إله. رواه ابن أبي حاتم ورواه هو وغيره بأسانيد ثابتة عن عبد الرحمن بن مهدي قال: إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن يكون الله كلم موسى بن عمران، وأن يكون على العرش، أرى أن يستتابوا فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم.

وقال يزيد بن هارون: من زعم أن الله على العرش استوى بخلاف ما يقر في قلوب العامة فهو جهمي.

وقال سعيد بن عامر الضبعي - وذكر عنده الجهمية فقال - هم شر قول من اليهود والنصارى، قد أجمع أهل الأديان مع المسلمين أن الله على العرش وقالوا هم: ليس عليه شيء.

وقال يحيى بن عثمان في رسالته: لا نقول كما قالت الجهمية إنه مداخل الأمكنة وممازج كل شيء ولا نعلم أين هو بل نقول هو بذاته على عرشه وعلمه محيط بكل شيء وسمعه وبصره وقدرته مدركة لكل شيء وهو معنى قوله: " وهو معكم أينما كنتم " .مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية – 215/1..

وقال ابن تيمية أيضا :

ومثل هذا كثير في كلام السلف والأئمة كانوا يردون ما أظهرته الجهمية من نفي الرؤية وخلق القرآن ويذكرون ما تبطنه الجهمية مما هو أعظم من ذلك أن الله ليس على العرش ويجعلون هذا منتهى قولهم وأن ذلك تعطيل للصانع وجحود للخالق إذ كانوا لا يتظاهرون بذلك بين المؤمنين كما كانوا يظهرون مسألة الكلام والرؤية لأنه قد استقر في قلوب المؤمنين بالفطرة الضرورية التي خلقوا عليها وبما جاءتهم به الرسل من البينات والهدى وبما اتفق عليه أهل الإيمان من ذلك ما لم يمكن الجهمية إظهار خلافه ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا [النساء:115] بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لابن تيمية – 84/2 ..

وقال أبو الحسن الأشعري :

قالت الجهمية : إن الله لا علم له ولا قدرة ولا سمع له ولا بصر وإنما قصدوا إلى تعطيل التوحيد والتكذيب بأسماء الله تعالى فأعطوا ذلك له لفظا ولم يحصلوا قولهم في المعنى ولولا أنهم خافوا السيف لأفصحوا بأن الله غير سميع ولا بصير ولا عالم ولكن خوف السيف منعهم من إظهار زندقتهم الإبانة – 130

هذه بعض النقولات عن العلماء في بيان عقيدة الجهمية ، و من أراد التوسع فعليه بكتاب الإبانة للأشعري و كتاب تلبيس الجهمية للإمام ابن تيمية ...

(25) عقيدة أهل السنة والجماعة ..

- باب : من ضل في أبواب التوحيد ..

- الجهمية ..

رابعا : أقوال العلماء في الجهمية ...

لفظ الجهمية عند العلماء يشمل ثلاث طوائف :

1- الجهمية المحضة ، 2- المعتزلة ، 3- الأشاعرة ، فكل هؤلاء عند العلماء جهمية ، و لذلك كتاب الرد على الجهمية للإمام أحمد أراد به

المعتزلة و كذلك البخاري في كتاب خلق أفعال العباد أراد المعتزلة ،وحديثي عن الجهمية أردت به الجهمية المحضة ، فكل ما نقلته عن العلماء من أقوال الجهمية هو يخص الجهمية المحضة ، و سيأتي معنا ذكر المعتزلة و الأشاعرة ، و قد أحببت أن أذكر ذلك لسبب وهو : رفع اللبس و الوهم ، فإن كثيرا من الناس ينقل كلام الإمام ابن تيمية في اختلاف العلماء في تكفير الجهمية ، و يظن أن ذلك يخص الجهمية المحضة ، و الإمام ابن تيمية لم يقصد الجهمية المحضة ، و إنما الخلاف الذي ينقله في جهمية المعتزلة و الأشاعرة ،فلذلك نقول : نحن نتحدث عن الجهمية المحضة ، و كل المقالات التي ذكرتها عن الجهمية ، إنما هي مقالات الجعد و الجهم وبشر المريسي و من تابعهم على عقيدتهم ، هذه مسألة يجب التنبه لها ،لأننا سننقل إجماع السلف على تكفيرهم ،فلا يأتي بعض إخواننا و يقول كيف تنقل الإجماع و ابن تيمية وغيره يحكي الخلاف ؟ فجوابنا : ما نقله ابن تيمية هو في جهمية المعتزلة و الأشاعرة وليس في الجهمية المحضة فتنبهوا لذلك ...

قال الإمام البخاري رحمه الله – بعد أن نقل عدداً من فتاوى أئمة السلف في تكفير الجهمية - : (نظرتُ في كلام اليهود والنصارى والمجوس فما رأيتُ قوماً أضلَّ في كفرهم منهم (أي الجهمية) وإني لأستجهلُ من لا يُكَفِّرهم إلا من لا يَعرف كفرَهم) انتهى ..

خلق أفعال العباد 24/2 ...

وقال – أيضاً – (ما أبالي أصليتُ خلف الجهمي والرافضي أم صليتُ خلف اليهود والنصارى, ولا يُسلَّمُ عليهم ولا يُعادون ولا يُناكحون ولا يُشهدون ولا تُؤكل ذبائحُهم) السابق 33/2 ...

وقال الإمام أبو بكر ابن خزيمة – بعد أن ذكر أن الجهمي يُستتاب فإن تاب وإلا ضُربت عنقه وألقي على بعض المزابل – قال رحمه الله : هذا مذهبي ومذهب من رأيت من أهل الأثر في الشرق والغرب من أهل العلم . انتهى من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية 170/6 ..

وكلام الأئمة في تكفير الجهمية المحضة أكثر من أن يحصر بعدد ، فقد ذكر الإمام ابن القيم في قصيدته النونية أنه قد حكم بكفر الجهمية خَمْسُمِائة عالمٍ من علماء المسلمين وذلك في قوله :

ولقد تقلَّد كفرَهم خمسون في عشرٍ من العلماء في البلدان واللالكائي الإمامُ حكاه عنـهم بل حكاه قبله الطبراني شرح النونية للهراس 126/1

و ذكر الإمام الدارمي في كتابه : « الرد على الجهمية » بابا بعنوان :«باب الاحتجاج في إكفار الجهمية »

وبابا آخر سماه « باب قتل الزنادقة والجهمية واستتابتهم من كفرهم » ،ثم ذكر الأدلة على كفر الجهمية و منها : دلالة القرآن الكريم، حيث أخبر عن قريش قالوا عن القرآن: «إن هذا إلا قول البشر» المدثر:25، أي مخلوق، وهو نفسه قول الجهم بخلقه، ثم أورد كثيرا من الآيات في هذا.

ومن الأثر ما ورد عن علي وابن عباس في قتلهم الزنادقة، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « من بدل دينه فاقتلوه » رواه البخاري ، والجهمية أفحش زندقة وأظهر كفرا منهم.

قال الدارمي: ونكفرهم أيضا بكفر مشهور ، ثم ذكر من ذلك قولهم بخلق القرآن، وتكذيبهم لما أخبر الله تعالى أنه يتكلم متى شاء وكلم موسى تكليما، وهؤلاء ينفون عنه صفة الكلام فيجعلونه بمنزلة الأصنام التي لا تتكلم، ثم بكفرهم في عدم إثباتهم لله تعالى ما أثبته لنفسه من الصفات: كالوجه والسمع والبصر والعلم والكلام. وبكفرهم في أنهم لا يدرون أين الله تعالى ولا يصفونه بأين ولا يثبتون له مطلق الفوقية الثابتة بالنصوص الصريحة في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ..

كما أورد الدارمي جملة من أسماء الذين حكموا بكفر الجهمية صراحة، ومنهم: سلام بن أبي مطيع، وحماد بن زيد، ويزيد بن هارون، وابن المبارك، ووكيع، وحماد بن أبي سليمان، ويحيى بن يحيى، وأبو توبة الربيع ابن نافع، ومالك بن أنس.

قال يحيى بن خلف المقرئ: "كنت عند مالك بن أنس سنة ثمان وستين, فأتاه رجل فقال: يا أبا عبدالله ما تقول فيمن يقول: القرآن مخلوق؟ قال: كافر زنديق اقتلوه .اهـ (أصول الاعتقاد 412)

وقال عبدالله بن نافع "قلت لمالك بن أنس: إن قوماً بالعراق؛ يقولون: القرآن مخلوق. فنتر يده عن يدي؛ فلم يكلمني الظهر ولا العصر ولا المغرب؛ فلما كان العشاء الآخرة؛ قال لي: يا عبدالله بن نافع؛ من أين لك

هذا الكلام؟ ألقيت في قلبي شيئاً هو الكفر؛ صاحب هذا الكلام يقتل، ولا يستتاب" اهـ (أصول الاعتقاد 496)

وذكر اللالكائي في أصول الاعتقاد (301/2) أن أصحاب مالك على هذه العقيدة، يكفرون من قال بخلق القرآن، ولا شك أنهم أخذوا هذا عنه، بل وذكر أن هذا إجماع أهل المدينة، حيث قال: "هؤلاء أصحاب مالك, و ابن أبي ذئب، والماجشون: معن بن عيسى, وعبدالملك بن عبدالعزيز بن أبي سلمة الماجشون, وإسماعيل بن أبي أويس, وأبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري, ومصعب بن عبدالله الزبيري, وإبراهيم بن حمزة الزبيري, وإبراهيم بن المنذر الحزامي, ويعقوب بن حميد بن كاسب, وهارون بن موسى الفروي, ومحمد بن يعقوب الزبيري, ويحيى بن المغيرة المخزومي. قالوا كلهم: القرآن كلام الله غير مخلوق, فمن قال: مخلوق. فهو كافر. وقال يحيى: ما أدركت أحداً من علمائنا إلا وهو يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق, فمن قال: مخلوق. فهو كافر. فهذا إجماع أهل المدينة"اهـ

قال يحيى بن خلف المقرئ: "قدمت الكوفة فلقيت أبا بكر بن عياش، فقلت له: ما تقول فيمن يقول: القرآن مخلوق؟ وحكيت له كلام الرجل, فقال: كافر، ومن لم يقل: إنه كافر؛ فهو كافر. (في السنة لحرب الكرماني: ثم قال: أيُشك في اليهودي والنصراني أنهما كافران، فمن شك في هؤلاء أنهم كفار؛ فهو كافر، والذي يقول: القرآن مخلوق. مثلهما)

و روى صالح بن أحمد عن أبيه لما حُوّل إلى دار إسحق بن إبراهيم: فكان يوجه إلي كل يوم رجلين، أحدهما يُقال له أحمد بن رباح، والآخر أبو شعيب الحجام، فلا يزالان يناظراني، حتى إذا أرادا الانصراف دُعي بقيد فزيد في قيودي. قال: فصار في رجله أربعة أقياد. قال أبي: فلما كان في اليوم الثالث دخل عليّ أحد الرجلين فناظرني، فقلت له: ما تقول في علم الله ؟ قال: علمُ الله مخلوق، فقلت له: كَفَرْتَ، فقال الرسول الذي كان يحضر من قبل إسحق بن إبراهيم: إن هذا رسول أمير المؤمنين، فقلت له ـ أي الإمام أحمد ـ: إن هذا قد كَفَرَ .[مسند الإمام أحمد بتحقيق أحمد شاكر:91/1].

وقال أبو داود للإمام أحمد : من قال القرآن مخلوق أهو كافر , قال: (أقول هو كافر) .

وقال جماعة من العلماء : (لا تصح إمامة من لا يكفر الجهمية والقبورية أو يشك في تكفيرهم) الدرر 436/10.

(26) عقيدة أهل السنة و الجماعة ..

- باب : ذكر من ضل في أبواب التوحيد ..

- الجهمية ..

خامسا : رد مجمل على عقيدة الجهمية..

الأصل الكبير الذي قامت عليه عقيدة أهل السنة و الجماعة هو :

« إثبات ما أثبته الله لنفسه و ما أثبته له رسوله ، من غير تحريف و لا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل » و هذه قاعدة مجمع عليها بين أئمة العلم والدين كما قال شيخ الإسلام في العقيدة الواسطية و غيرها ، و قد شرحنا هذه القاعدة بوضوح في أول هذه المقالات ..

- و هذه القاعدة مبنية على أصل كبير وهو : أن الله تعالى غيب عن عباده ، فلم يشاهد العباد ربهم جل وعلا ، لم يروا ذاته و لم يروا صفاته ، و إذا تقرر أن الله تعالى غيب عنا ، فهذا يلزم منه أمرين :

1- امتناع العباد عن تسمية الله و وصفه بعقولهم ، لأنهم لو وصفوه بأي شئ ،فإن ذلك قول بلا علم ، بل هو قول الزور ،و قد قال تعالى : « قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن و الإثم والبغي بغير الحق و أن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا و أن تقولوا على الله مالا تعلمون » الأعراف : 33 ، فالقول على الله بلا علم حرام ، و من القول على الله بلا علم : تسميته و وصفه بناء على حكم العقل ..

2- و كذلك ينبني على كونه تعالى غيبا عن عباده : الإيمان بكل ماورد في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته ، لأنه لا طريق لنا إلى معرفة الله بأسمائه و صفاته إلا الوحي المنزل من السماء ، فنؤمن بكل ماورد كما هو دون تدخل عقلي ..

- فإذا تقرر لدينا أن الله تعالى غيب عنا ، و تقرر أننا نؤمن بأسماءه و صفاته الثابتة بالنص من الكتاب و السنة ، فإننا نقول :

إن الإيمان بأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة ، لا يلزم منه مشابهة الخالق سبحانه للمخلوقين من عباده ،و قد دل على ذلك كتاب الله تعالى :

« ليس كمثله شئ و هو السميع البصير »الشورى : 11، فهذه الآية دلت على أمرين : 1- نفي المماثلة : فليس لله مثيل ولا شبيه ، بل تفرد الله بذات لا تشبه ذوات المخلوقين ، وتفرد بصفات لا تشبه صفات المخلوقين ، كما قال سبحانه في سورة الإخلاص « ولم يكن له كفوا أحد » الآية ، فليس لله كفؤ ولا نظير ولا شبيه ،

2- إثبات الصفات : فقد أثبتت هذه الآية صفتي السمع والبصر ، فلو كان في إثبات الصفات تشبيه للخالق بالمخلوق ، لامتنع في القرآن إثبات ذلك ، لكن لما أثبت القرآن ذلك لله سبحانه ، عرفنا أن إثبات الصفات لا يلزم منه تشبيه كما يقول الجهمية النفاة و من تبعهم من المعتزلة و الاشاعرة ..

- و هذه الآية فيها الرد على الجهمية نفاة الأسماء والصفات ، و على المشبهة المجسمة ، فمذهب أهل السنة هو الإثبات خلافا للجهمية ، و التنزيه خلافا للمشبهة المجسمة ، فهو وسط بين الإفراط والتفريط ..

- و هل إثبات الأسماء والصفات يقتضي الجسمية كما تقول الجهمية ؟ و الجواب : إن الاشتراك في التسمية لا يلزم منه المماثلة والمشابهة في الذات و الصفات ، فنحن نقول : رأس الرجل ، و رأس الجمل و رأس الجبل ، و رأس العلم ، و مع ذلك فهناك مغايرة بين هذه الأشياء ، فلا شئ فيها يشبه الآخر ، مع أنها تتفق في الاسم ، و كذلك نقول : يد الإنسان ، ويد الفيل ، و يد الأسد ، و لا نرى مماثلة و لا مشابهة بين هذه المخلوقات ، فإذا كانت الأشياء المخلوقة لا تتشابه في الذات و الصفات ، فمن باب

أولى لا مشابهة بين الخالق و المخلوق ، فالجسمية التي يتعلق بها الجهمية لا وجود لها ...

- و لفظ الجسم من الألفاظ التي لم تأت في الشريعة بالنفي ولا بالإثبات ، فلذلك لم يستعمله السلف ولا الأئمة ، بل اكتفوا بالثابت الوارد في الكتاب والسنة منعا لأي لبس أو إشكال ..

- و مع ذلك فإن العلماء قالوا :

لفظ الجسم مجمل يحتاج بيانا و إيضاحا ، وهذا اللفظ فيه حق و باطل ، فيجب على قائله بيانه و إيضاحه لنعلم قصده به ، لإزالة الإشكال ..

فإذا كان المراد بالجسم عند قائله هو الذات الموصوفة بالصفات كالسمع والبصر والكلام و الإرادة و غير ذلك ، فإن ذلك حق و هو عقيدة أهل السنة ، لكن يبقى إشكال في اللفظ نفسه ، لأنه قد يؤدي إلى لبس وغلط عند البعض ، فالأولي التنزه عنه و في الكتاب والسنة كفاية ..

و كذلك لو أراد بالجسم ماله وجه و يدان و عينان ، فهذا حق دل عليه الكتاب والسنة و نحن نؤمن بأن الله متصف بهذه الصفات ، و كذلك لو كان المراد بالجسم ما يشار إليه بالأصبع حين الدعاء إشارة

حسية بأنه في السماء ، فهذا أيضا حق لا باطل فيه ، لكن كما قلنا يبقى الإشكال في اللفظ نفسه ..

و لو كان المراد بالجسم ما أردته الجهمية النفاة أو المجسمة أتباع سليمان بن مقاتل ، فإن ذلك باطل مردود ، بل هو الذي لأجله كفر السلف المعطلة و المشبهة ..

على كل حال هذا رد مختصر جدا فيه إبطال ما تعلق به جهم و أتباعه من شبهة الجسمية ، وبها نفوا باب الأسماء والصفات ، وقد تبين بطلانها ، فكل ما بنوه عليها باطل ولله الحمد ..

(27) عقيدة أهل السنة والجماعة ..

- باب : ذكر من ضل في أبواب التوحيد ..

- الجهمية ..

سادسا : أثر الجهمية في الأمة الإسلامية..

نذكر في هذا المقال الآثار التي ترتبت على ظهور مقالات الجهمية ، لأن بدعة جهم بن صفوان لم تمت بموته و لا بموت رؤوس مذهب الجهمية ، بل شاعت هذه المقالات حتى قامت على أصولها فرق أخرى ، و قد ظهرت هذه الآثار قديما وحديثا ، فنذكر خاتمة مختصرة نفصلها في موطنها عن الفرق التي تأثرت بالجهمية في القديم و الحديث ..

١- المعتزلة مخانيث الجهمية :

المعتزلة هم الورثة الشرعيون للجهمية ، ولذلك قال ابن تيمية: « كل معتزلي جهمي » .منهاج السنة (484/2) ..

فالمعتزلة ورثوا عن الجهمية القول بنفي الصفات و جحدها ، و خلق القرآن وإنكار رؤية الله تعالى يوم القيامة و إنكار الاستواء و غير ذلك من أقوال الجهمية ، وقد تزعم المعتزلة فتنة خلق القرءان في

زمن الإمام أحمد و الخليفة المأمون عليه من الله ما يستحقه ، والإمام أحمد كان يسمي المعتزلة جهمية و كذلك البخاري و عامة العلماء يطلقون لفظ الجهمية و يريدون به الجهمية المحضة و المعتزلة ، فالمعتزلة فرخ من أفراخ الجهمية ،

و سيأتي حديث خاص عن هذه الفرقة المفارقة للإسلام ..

2- الأشاعرة : أتباع أبي الحسن الأشعري ، والأشاعرة أخذوا عن الجهمية إنكار الصفات والجبر والإرجاء ، وأخذوا من المعتزلة تقديم العقل على الشرع ، وأن نفي الصفات من التوحيد وإثباتها من الشرك و التجسيم و كل هذه أصول

الجهمية ، و قد أطلق عليهم شيخ الإسلام مخانيث المعتزلة ، فالأشاعرة معتزلة على الصحيح ، و لذلك نقول : الجهمية طبقات ثلاث :

الجهمية المحضة ، و المعتزلة ، و الأشاعرة ..

3- الأحباش : ينسب الأحباش إلى شيخهم عبد الله بن محمد الشيبي العبدري الهرري ، نسبة إلى مدينة هرر بالحبشة ، وقد جاء هذا الرجل إلى بلاد الشام سنة 1370هـ 1950م ، فالأحباش فرقة معاصرة ..

يزعم الأحباش أن جبريل عليه السلام هو الذي تكلم بالقرآن الكريم وليس الله ، فالقرآن عنده ليس بكلام الله تعالى وإنما عبارة عن كلام جبريل وهذا قول الأشاعرة ..

و يؤولون صفات الله بلا حجة ، فيؤولون الاستواء بالاستيلاء كالمعتزلة والجهمية ..

٤- الداعية يوسف استس ..

«يوسف إستس» «1944م» هو مبشر أمريكي تحول إلى الإسلام كان اسمه قبل إسلامه هو «جوسيف إدوارد إستس أو جوزيف إيستس»، ولد في الولايات المتحدة ونشأ في أسرة بروتستانتية نصرانية وأصبح قسيساً. بعد تعامله مع شخص مسلم مصري اعتنق الإسلام سنة 1991م ويعمل في مجال الدعوة في الولايات المتحدة وله أشرطة ومحاضرات بالإنجليزية، وقد ترجم الكثير منها إلى لغات أخرى.

وقد تكلم هذا الرجل بعقيدة جهم قائلا : المكتوب في المصاحف ليس بقرآن، وإنما هو عبارة عن القرآن (قول اللفظية من طوائف الجهمية).وقوله إن القرآن الحقيقي في اللوح المحفوظ خاصة (قول الأشاعرة الجهمية) ..

هذه أشهر الأسماء التي تأثرت بعقيدة الجهمية ، و لنا معها وقفة فيها شئ من التفصيل ، لكن القصد من هذه المقالة هو إظهار خطورة الجهمية و ما أحدثته في عقائد المسلمين ..

(28) عقيدة أهل السنة والجماعة ..

- باب : ذكر من ضل في أبواب التوحيد ..

- المعتزلة ..

أولا : التعريف بالمعتزلة ..

هذا هو الاسم الذي اشتهرت به هذه الفرقة ، اسمهم : « المعتزلة » و هم يحبون هذا الاسم و لا ينكرونه ، بل هم في غاية الرضا عنه ، يقول أبو الهلال العسكري : « و المعتزلي راض باسم الاعتزال ، غير نافر منه ولا كاره له » كتاب الأوائل لأبي الهلال ص :17 ..

لكن المعتزلة يفضلون اسما آخر لهم و هو : « أهل التوحيد والعدل » أو « العدلية » ، و هذا لأنهم يظنون أنهم أتوا بالتوحيد على الصفة الشرعية ، ألا ساء ما يظنون ،فإنهم لا علاقة لهم بتوحيد الأنبياء و المرسلين ، بل هم أحفاد الفلاسفة و أبناء الجهمية ، أو قل : المعتزلة مجوس هذه

الأمة ، وسيأتي تفسير ذلك وبيانه ...

- و أهل السنة يسمون المعتزلة بأسماء متعددة و منها :

1- القدرية : لأنهم نفاة القدر ، فالمعتزلة صرحوا بأن الله لم يخلق أفعال العباد ،و لا علم له بها إلا بعد وقوعها ، و الإنسان هو الذي يخلق أفعال نفسه بقدرة وضعها الله فيه ، فأثبتوا خالقين : الله خالق الإنسان ، و الإنسان خالق أفعال نفسه ، و هذا كما قالت المجوس :

للكون خالقان : إله النور و إله الظلمة ،فشابه المعتزلة المجوس من هذا الوجه ، ولذلك فإن هؤلاء مجوس كما قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - : فقد روى أبو داود في "سننه" (4691) "كتاب السنة – باب : في القدر" عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنْهُما عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ) و هذا الحديث صحيح ولا مطعن فيه ، قال البيهقي رحمه الله :

" وإنما سموا قدرية ؛ لأنهم أثبتوا القدر لأنفسهم ، ونفوه عن الله سبحانه وتعالى ، ونفوا عنه خلق أفعالهم وأثبتوه لأنفسهم ، فصاروا بإضافة بعض الخلق إليه دون بعض مضاهين للمجوس في قولهم بالأصلين النور والظلمة وأن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة " انتهى من "الاعتقاد" (ص245)

وقَالَ الْخَطَّابِيُّ رحمه الله : " إِنَّمَا جَعَلَهُمْ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجُوسًا لِمُضَاهَاةِ مَذْهَبهمْ مَذْهَب الْمَجُوس فِي قَوْلهمْ بِالْأَصْلَيْنِ النُّور وَالظُّلْمَة

يَزْعُمُونَ أَنَّ الْخَيْر مِنْ فِعْل النُّور , وَالشَّرّ مِنْ فِعْل الظُّلْمَة , فَصَارُوا ثَنَوِيّة . وَكَذَلِكَ الْقَدَرِيَّة يُضِيفُونَ الْخَيْر إِلَى اللَّه تَعَالَى وَالشَّرّ إِلَى غَيْره , وَاَللَّه سُبْحَانه وَتَعَالَى خَالِق الْخَيْر وَالشَّرّ جَمِيعًا ، لَا يَكُون شَيْء مِنْهُمَا إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ ، فَهُمَا مُضَافَانِ إِلَيْهِ سُبْحَانه وَتَعَالَى خَلْقًا وَإِيجَادًا ، وَإِلَى الْفَاعِلَيْنِ لَهُمَا مِنْ عِبَاده فِعْلًا وَاكْتِسَابًا " انتهى. "شرح مسلم" (154/1)

2- المعطلة أو الجهمية : و كذلك يسميهم اهل السنة بالمعطلة و بالجهمية ، لأنهم قالوا بمقالات جهم بن صفوان في التوحيد و نفي الصفات ، و الإمام أحمد سماهم جهمية و تابعه أبو عبدالله البخاري

في كتاب « خلق أفعال العباد » فإنه رد فيه على المعتزلة القدرية ، لكنه سماهم جهمية لأنهم استقوا أصولهم عن جهم ..

- وقد وقع نزاع بين العلماء في سبب تسمية المعتزلة بهذا الاسم ، و المشهور أن الذي سماهم معتزلة هو الحسن البصري ، و كان ذلك لما اعتزل واصل بن عطاء مجلس الحسن ، فقال الحسن :

« أنتم المعتزلة » ذكر ذلك المرتضى في أماليه ج1 ص 167

و ذكر أحمد أمين في كتابه "فجر الإسلام" أنه قرأ في كتاب المقريزي " الخطط " أن هناك فرقة من اليهود يقال لها (الفروشيم) وقال: إن معناها المعتزلة، وأنها كانت تقول بالقدر، فلا يبعد أن يكونوا سُموا بذلك تشبيهاً لهم بهذه الطائفة اليهودية من هذه الناحية »

ذكر ذلك في فجر الإسلام ج1 ص 344،وتراجع عنه بعد ذلك .. قال الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه "تاريخ المذاهب الإسلامية ": « إن التشابه كبير بين " معتزلة اليهود " و " معتزلة الإسلام " إذ الجميع يفسرون دينهم على مقتضى منطق الفلاسفة » 209 ..

- و عند المعتزلة لا تصح تسمية أحد بأنه معتزلي إلا إذا آمن بالأصول الخمسة ،وقد ذكر ذلك ابو الحسن الخياط في :

كتابه الانتصار ص 126 ..

و سيأتي معنا ذكر هذه الأصول ..

(29) عقيدة أهل السنة والجماعة ..

- باب : ذكر من ضل في أبواب التوحيد ..

- المعتزلة ..

ثانيا : نشأة المعتزلة و أسماء أهم شيوخهم ..

تبدأ بذرة الاعتزال من زمن معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - فقد كان له كاتب نصراني اسمه : سرجون الرومي ، ولما توفي سرجون خلفه في أعماله ابنه : يحى الدمشقي الذي خدم الأمويين زمنا طويلا ، و كان مقربا لهم جدا ، و كان يحى الدمشقي له علم بالفلسفة والمنطق ، وكان ليحى الدمشقي النصراني نشاطا كبيرا في نشر أفكاره و عقائده التي هي خليط بين النصرانية المحرفة و فلسفة أرسطو و أفلاطون ..

- تأثر بأفكار يحى الدمشقي اثنان :

عمر المقصوص المتوفى عام 80 هجرية ،و معبد الجهني المتوفى عام 80 هجرية ،و كان معبد يلازم رجلا معروفا باسم :

سنسوية النصراني ، و قد أخذ معبد الجهني القول بخلق القرآن و نفي القدر عن هذا النصراني سنسوية ...

و عنهما أخذ الجهم بن صفوان المتوفى 128 هجرية ، و عن الجهم أخذ عمرو بن عبيد و واصل بن عطاء ، و هما من رؤوس المعتزلة ، وحاملي راية هذه الفرقة الضالة ..

- و من المعلوم أن معبد الجهني كان يجالس الحسن البصري ، و أن واصل بن عطاء و عمرو بن عبيد كانا يجلسان للحسن في مجالس علمه ، حتى طردهما بسبب قولهما في حكم مرتكب الكبيرة ..

- و كذلك تأثر بأفكار يحى الدمشقي اثنان من رؤوس القدرية وهما :

غيلان الدمشقي و مكحول الدمشقي ،فإنهما تأثرا به في عقيدة نفي القدر و خلق القرآن ، و غالب أقواله ..

- إذن : النشاط الدعوي الذي قام به يحى الدمشقي النصراني ، كان له أثر كبير في نشأة عقيدة المعتزلة ، و هذه هي البذرة الأولى لمذهب المعتزلة ..

- نضيف إلى ذلك انتشار المناظرات بين علماء السنة و هؤلاء المبتدعة في الشام والعراق ، و كان هذا له تأثير كبير على عامة المسلمين ، و قد نشطت هذه المناظرات في البصرة بالعراق ، حتى قال الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء :

« البصرة عش القدر » ، وفي هذه الظروف نشأت المعتزلة ، تمثل فكرا جديدا طرأ على الأمة الإسلامية ، تحمل في جعبتها أخطر أصول الكفر و الإلحاد :

1- نفي قدرة الله على خلق أفعال العباد ،

2- القول بخلق القرآن ، و هم في ذلك قد جمعوا بين مدرستين :

مدرسة الجهمية و مدرسة القدرية ..

- ويعتبر واصل بن عطاء هو شيخ المعتزلة و كبيرها ، فهو الذي جهر بأصولها و صرح و دعا ، و كان أول ذلك في مجلس الحسن الذي طرده منه بسبب قوله في صاحب الكبيرة : أورد الشهرستاني في كتاب الملل والنحل: أن رجلاً دخل على الحسن البصري فقال: يا إمام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر وهم وعيدية الخوارج، وجماعة يرجئون مصير أصحاب الكبائر لأمر الله تعالى، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً ؟ فتفكر الحسن في ذلك. وقبل أن يجيب قال واصل : ليس بمؤمن ولا بكافر ، و إنما هو في منزلة بين منزلتين ، بين منزلة الكفر و الإيمان .

العلماء يقولون : هذه هي البداية الحقيقة لظهور المعتزلة كفرقة ضالة ، و بداية انتشار و شيوع أقوالها ..

- توسعت المدرسة المعتزلية بعد ذلك وانتشرت و بدأ علماؤها في نشر أصولها ، والدعوة إليها وذلك في زمن الدولة العباسية من حوالي 150 . 230 هجرية ..

- و أبرز رؤوس المعتزلة في ذلك الوقت :

1- ثمامة البصري : الذي صاحب الخليفة المأمون ، و كان من تلاميذ ثمامة الجاحظ الأديب المشهور ..

2- بشر بن غياث المريسي : الذي قال بخلق القرآن و دعا إليه ، و كان إمام الجهمية في زمانه ..

3- أبو هذيل العلاف : شيخ المعتزلة و إمامهم و المناظر عنهم ، كان من تلاميذه أحمد بن أبي دؤاد الذي تزعم محنة خلق القرآن ..

4- بشر بن المعتمر الكوفي : أول من انتحل الاعتزال في بغداد ، و كان داعية نشيطا له فيها ..

- هؤلاء أبرز رؤوس هذه المرحلة و هناك عدد كبير و منهم :

ضرار بن عمرو ، ابو المعتمر السلمي ، عيسى البصري الملقب بالمرداد ، هشام الغوطي و كثير ...

- و نذكر مسألة مهمة :

- دور الخليفة المأمون في انتشار فكر المعتزلة :

المأمون تولى الخلافة عام 198 هجرية ،وكان له دور كبير جدا في نصرة هذا المذهب و علوه وانتشاره ، هذا الرجل هو الذي أدخل كتب الفلاسفة و المناطقة إلى بلاد المسلمين و أمر بترجمتها ..

و قد ذكر الإمام الذهبي أن المأمون كان داعية إلى خلق القرآن ، و قد بالغ في دعوته هذه حتى عذب و سجن و قتل من خالف ...

و كان المأمون ملازما لابن أبي دؤاد و محبا له و ناصرا ، و قد صدره في محنة الإمام أحمد مناظرا له و سائلا و سيأتي معنا بحث تام في ذلك ..

- سار على منهج المأمون اثنان :

الخليفة المعتصم و الخليفة الواثق ،و كان لهما دور كبير في نصرة مذهب المعتزلة ، إلا أن الواثق تراجع في آخره ..

ثم انحسر مذهب المعتزلة في عهد المتوكل الذي نصر السنة و قمع البدعة وكان قد تولى خلافة المسلمين عام 232 هجرية ...

- و أخيرا : مصادر هذه النبذة المختصرة عن نشأة المعتزلة :

تاريخ الطبري ، سير أعلام النبلاء ، ميزان الاعتدال للذهبي ، الجهمية والمعتزلة ناصر العقل ، البداية والنهاية لابن كثير ،بحث للأستاذ محمد أحمد الزهراني ،وغيرها كثير ...

(30) عقيدة أهل السنة والجماعة ..

- باب : ذكر من ضل في أبواب التوحيد ..

- المعتزلة ..

ثالثا : مقالات المعتزلة ..

- المعتزلة لهم مقالات كثيرة ، لكن هناك خمس مقالات يسميها المعتزلة : « الأصول الخمسة » هي أركان عقيدة المعتزلة ، و لا يسمون الرجل معتزليا إلا إذا قال بها واعتقدها ، وهي بهذا تساوي أركان الإسلام الخمسة عند عامة المسلمين ، والأصول الخمسة عندهم هي : التوحيد ، و العدل ، والوعد والوعيد ، و المنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعرف والنهي عن المنكر ..

1- التوحيد : فسروه بالسلوب فقالوا : إن الله ليس بجوهر و لا عرض و ليس بجسم ، والجوهر يعني : الذات أو الشئ القائم بنفسه ، و العرض يعني : مالا يقوم بنفسه بل بغيره ، و نوضح ذلك بمثال :

« زيد » هذا جوهر ، لأنه ذات قائمة بنفسها ، مستقلة عن غيرها من الذوات التي تشبهها ، و « زيد » طويل و لونه أبيض ، هذه أعراض لا تقوم بنفسها ، لأن الطول و البياض لا وجود لهما بغير ذات تتصف بهما ،

وهذا يعني : أن العرض في معنى الصفة و الجوهر في معنى الموصوف ، فالحاصل أن المعتزلة قالوا : ليس بجوهر و لا عرض و ليس شيئا مركبا من أجزاء ، و أنه لا يحيط به شئ و لا يراه أحد و ليس متحيزا في شئ ، ولا مكان له ولا زمان و لا نهاية و لا بداية ، و أنه الخالق للأشياء ..

و قولهم هذا هو عين قول الجهمية ، و هو وصف لله بالعدم ، و لذلك لما قال الجهمي : إن الله ليس داخل العالم و لا خارجه ولا فوقه ولا تحته ، هو في هذا الهواء و في كل شئ ، قال محمود بن سبكتكين :

لو قيل لأحد : صف لنا العدم ، لما وصفه بأحسن من ذلك !!

فالتوحيد عند المعتزلة هو نفي حقيقة التوحيد ، من إثبات ذات لله سبحانه ، موصوفة بالكمال المطلق من جميع الوجوه ، فإن أهل السنة يثبتون لله ذاتا لها أسماء و أوصاف تدل على كماله سبحانه ، فالحاصل أن التوحيد عند المعتزلة هو مجموعة من السلوب ..

2- العدل : و معناه عندهم :

أن الله لم يخلق أفعال العباد ، فليس لله فيها صنع ولا تقدير و لا مشيئة و لا قدرة ، ولذلك هم قدرية نفاة ، و هم عكس الجبرية الجهمية في هذا الباب ..

وعندهم أن الإنسان خالق أفعال نفسه بقدرة أودعها الله فيه ، فهم ينفون القدر ،لكنهم يثبتون علم الله الأزلي خلافا لمن نفاه كغيلان الدمشقي و معبد الجهني ..

وهذه القضية هي التي ناقشها و عالجها الإمام البخاري في كتاب « خلق أفعال العباد والرد على الجهمية » و قصد بذلك المعتزلة ، لأن الإمام أحمد و البخاري كانوا يسمون المعتزلة جهمية ..

و إنما نفوا خلق الله لأفعال العباد من خير و شر ، لأنهم لو أثبتوها فإنه يترتب على ذلك ظلم من الرب لعباده ، إذ كيف يخلق الشر و يشاؤه و يقدر وجوده ، ثم يحاسب من فعله ؟ فكان العدل عندهم هو نفي خلق الله لكل أفعال العباد ، حتى

يحاسب الخلق على صنعهم هم و فعلهم هم ، تعالى الله عما يقولون ..

3- الوعد والوعيد : الوعد أي بالجنة ، و الوعيد أي بالنار ، فأجبوا على الله سبحانه أمرين : الأول :أن يلتزم بما وعد به أهل الطاعة من الثواب و دخول الجنة ، لأن أهل الطاعة يدخلون الجنة بطاعتهم لا بفضل الله سبحانه و لا برحمته ..

والثاني : أن يلتزم الله بتعذيب العصاة كما توعدهم بذلك ، و قالوا : إن أهل الكبائر لا شفاعة لهم ، بل هم مخلدون في النار ، و أنكروا احاديث الشفاعة لأنها عندهم أخبار آحاد ..

4- المنزلة بين المنزلتين : و هذا الأصل هو أول طريق ضلالهم ، فقالوا : صاحب الكبيرة بين منزلة الكفر و الإيمان ، لا نسميه مؤمنا و لا كافرا ، لكنه لو مات بغير توبة فهو مخلد في النار ..

5- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : قالوا إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الجميع ، فالعالم يدعو بعلمه و يبين ، و صاحب السيف يقاتل به و يجاهد ، و أوجبوا الخروج على الحكام ،

إذا كفروا أو فسقوا ..

- هذه أصول المعتزلة الخمسة التي لا يكون معتزليا من لم يعتقدها كما قال علماؤهم ..

هذه الأصول الخمسة هي التي تميز المعتزلة عن غيرهم كما قال شيخ المعتزلة القاضي عبد الجبار في كتابه « شرح الأصول الخمسة » ، لأن كل من سواهم يخالفهم في أصولهم هذه ، فمرتكب الكبيرة عند أهل السنة فاسق و عند الخوارج كافر و عند المرجئة مؤمن كامل الإيمان ، خالف المعتزلة و قالوا : لا نسميه بكل هذا ، هو بين الكفر و الإيمان ، فتميزوا بذلك عن مخالفيهم ، فأصولهم الخمسة تميزهم عن غيرهم ،ومع ذلك لهم مقالات كثيرة كخلق القرآن و سيأتي هذا إن شاء الله

- مصادر المقال : الملل والنحل للشهرستاني ، مروج الذهب للمسعودي ،الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ،شرح الطحاوية لابن أبي العز ، و هناك مراجع كثيرة غير ذلك ...

(31) عقيدة أهل السنة والجماعة ..

- باب : ذكر من ضل في أبواب التوحيد ..

- المعتزلة ..

ثالثا : مقالات المعتزلة ..

- ذكرت خمس مقالات للمعتزلة هي حقيقة مذهبهم و لا يسمون الرجل معتزليا إلا إذا اعتقدها ، و أختم المقالات بمسألتين : 1- موقفهم من إثبات الصفات ، 2- قضية خلق القرأن و محنة الإمام أحمد بن حنبل معهم ..

1- موقف المعتزلة من إثبات الصفات :

المعتزلة كما قلنا هم نفاة في باب الصفات ، و قد ورثوا القول بالنفي عن الفلاسفة و الجهمية ، لاسيما الفيلسوف أفلوطين الذي أثبت للإله صفة واحدة وهي الوجود ، وهذا الوجود ذهني ، يعني : ليس للإله ذات موصوفة ، و هكذا قال الجهمية و المعتزلة كما قد عرفنا ...

- وقد اتفق المعتزلة على إثبات أربع صفات لله عزوجل وهي :

الوجود ، والعلم ، و الحياة ، والقدرة ، قال أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين ج1ص238 :

و أجمعت المعتزلة على أن الله لم يزل عالما قادرا حيا .. انتهى ..

- وصفة القدرة هي أم الصفات عندهم و باقي الصفات الاربع مبني عليها ، و هذا ما صرح به القاضي عبد الجبار في شرح الأصول الخمسة ص 151 فقال : من صفات القديم كونه قادرا ، و ما عداه يترتب عليه .. انتهى كلامه ..

- لكنهم يقولون : عالم بذاته ، قدير بذاته ، يعني : أن الصفة هي عين الذات وليست زائدة عليه ، و هناك مثل لأفلوطين يوضح ذلك : لو قلنا إن الله بصير بذاته يعني :

أن ذاته نور يضئ كل شئ له فتراه الذات ، لكن ليس معني كونه بصيرا أن له عين يبصر بها ، فتكون صفة البصر شئ زائد عن الذات ، هكذا قال الفيلسوف و هكذا أخذ عنه المعتزلة ...

فهم في باب الصفات نفاة لها ، و ما أثبتوه من الصفات الأربع إنما هو إثبات في معنى النفي ، لأنهم جعلوا الذات هي الصفة نفسها على طريقة أفلوطين ، ومعلوم أن المعتزلة نفاة للاستواء و العلو و المجئ والنزول و الضحك والرضى والغضب و الكلام وغير ذلك مما قاله الفلاسفة و الجهمية ، و الأصل الذي أسسوا عليه بدعة النفي هي تنزيه الله تعالي عن الجسمية و عن مشابهة الخلق ..

2- فتنة خلق القرءان و محنة الإمام أحمد ..

- فتنة خلق القرءان لها حكاية كبيرة ، و هذه الحكاية تبدأ من عند الجعد بن درهم - لعنه الله - ، فقد كان الجعد ينفي الصفات و ينكرها و يقول بأن كلام الله مخلوق ، و قد بينتُ ذلك في المقالات السابقةِ ، و زعم الجعد أنَّ الله لم يتخذ إبراهيم خليلا و لم يكلم موسى عليه السلام ، فتصدى له الأمير خالد القسري من أمراء بني أمية فذبحه في واسط بالعراق في عيد الأضحى و هي قصة مشهورة ..

وأخذ عن الجعد تلك العقيدة الجهم بن صفوان شيخ الجهمية ومنه أخذها المعتزلة ،و قد نشط المعتزلة في عهد الخليفة المأمون الذي كان مهتما بعلم الكلام والفسلفة و مؤيدا قويا لمذهب الاعتزال ..

- و أنقل سردا تاريخيا لهذه المحنة باختصار :

بدأ المأمون المحنة عام 218هـ فعمم في الأقطار الدعوة إلى خلق القرآن وطلب موافقة العلماء , ومناظرة المخالف وإجباره على يد ابن أبي دواد ...

- أول دفعة استدعاها المأمون للإقرار أجابت تقية و منهم :

محمد بن سعد كاتب الواقدي وأبو مسلم المستملى ويحي بن معين وأبو خيثمة زهير بن حرب وإسماعيل بن أبي مسعود وأحمد ابن الدورقي ،فبُعِثَ بهم إلى المأمون إلى الرقة فامتحنهم بخلق القرآن فأجابوه إلى ذلك وأظهروا موافقته وهم كارهون فردهم إلى بغداد وأمر بإشهار أمرهم بين الفقهاء ففعل إسحاق ذلك وأحضر خلقاً من مشايخ الحديث والفقهاء وأئمة المساجد وغيرهم فدعاهم إلى ذلك عن أمر المأمون وذكر لهم موافقة أولئك المحدثين له على ذلك فأجابوا بمثل جواب أولئك موافقة لهم ووقعت بين الناس فتنة عظيمة ..

ثم بدأ المأمون بالدفعة الثانية فأبوا جميعهم , فغير أسلوبه إلى التعذيب فأجابوا سوى ابن حنبل ومحمد بن نوح فأرسل بطلبهم إليه أن ينقلوا من بغداد إليه ، مات المأمون في نفس عام الفتنة 218هـ, ومات ابن نوح في الطريق ، و تولى الخلافة المعتصم أخو المأمون وقام بتكميل ما بدأه أخوه , فحبس ابن حنبل وقيده بالقيود ثمان وعشرين شهرا .

ثم عقد له مجلس مناظرة مع أحمد بن أبي دواد بحضرة المعتصم لثلاثة أيام أو أكثر يغلبهم في الحجة والمعتصم لين هش معه ، فهيجوه وأغضبوه وكفروا أحمد فأمر بضربه .

- ضربوه رحمه الله تعالى في 25/رمضان/221هـ ضُرِبَ قيل ثمانين سوطاً وقيل نيفاً وثلاثين , أُغمي عليه خلالها مرات حتى فقد الوعي تماماً وكان سنه آنذاك سبع وخمسون عاماً.

ندم المعتصم على ضربه لشيخ مسن فأمر بفك قيوده وعلاجه حتى طاب ورجع إلى بيته وبقي فيه إحدى عشرة سنة فيها مات المعتصم والواثق وتولى المتوكل ورُفِعَت المحنة .

في خلال هذه المدة لم تنقطع المحنة بل على العكس كان امتحان الناس على يد المعتصم والواثق من بعده مستمراً حتى توقف الواثق لمناظرةٍ وقعت أمامه أقنعته ولكن لم يعلن رفع المحنة حتى جاء المتوكل فأطلق من في السجون وأعلن السنة ورفع رايتها وأخزى أهل البدعة وقمعها .

(32) عقيدة أهل السنة والجماعة ..

- باب : ذكر من ضل في أبواب التوحيد ..

- المعتزلة ..

ثالثا : مقالات المعتزلة ..

- نذكر في هذا المقال مسألة واحدة ثم نختم بذكر شئ يسير من مناظرة الإمام أحمد لابن أبي دؤاد في مسالة خلق القرءان من باب طرد الفائدة ..

و المسألة : ماذا يعني القول بأن القرءان مخلوق ؟ و الجواب :

1- يترتب على القول بخلق القرءان نفي صفة الكلام عن الله سبحانه ، و الاعتقاد بأن الإله الذي نعبده لا يتكلم ، وهذا باطل بالشرع والعقل ، أما الشرع فقد أثبت الله لنفسه صفة الكلام فقال سبحانه :

« وكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً» النساء:164 ، فتأكيد الفعل بمصدر من لفظه يؤكد أنه كلمه حقيقة و هذا إجماع لا نزاع فيه ، و اما العقل : فإن الله لو كان لا يتكلم ، فهذا نقص وعيب ، و العيب والنقص منفي عن الله تعالى بإجماع العقلاء ، فنثبت له الكلام لأن فيه كمالا و جلالا ..

2- و يترتب على القول بخلق القرءان : أن الله تعالى في حاجة لبعض خلقه ، لأن الله له أوامر ونواهي ، فكيف يأمر وينهى وهو لا يتكلم ؟ فيحتاج إذن لمن يتكلم نيابة عنه ، وهذا باطل لأن الله سمى نفسه باسم « الغني » و الغني هو الذي استغنى بنفسه عن خلقه ، فلا يحتاج لأحد من عباده ، بل الخلق كلهم مفتقرون إليه ، و كذلك « هو القيوم » الذي قام بنفسه و قام بشئون خلقه ، فكيف يكون قيوما وهو لايتكلم ؟! سبحانه ..

3- ويترتب على القول بخلق القرءان تكذيب لكثير من الآيات التي في القرآن والتي تثبت كلام الله لأنبيائه ورسله، كقوله سبحانه: « وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً» النساء:164 ، وكقوله سبحانه: « إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا » آل عمران: من الآية55 ، وكقوله سبحانه: سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ » الفتح:15 ..

4- ويترتب على القول بخلق القرءان : إبطال الشريعة و إبطال الأمر والنهي ،لأن القرءان صار نقوشا حينئذ ، و صار كأي مخلوق يطرأ عليه التبديل والتغير ،وزالت قدسيته و زالت حجيته على الخلق ، لأنه لا حجة لمخلوق على مخلوق ، فلذلك القول بخلق القرءان خطر كبير ..

ولذلك تشدد السلف جدا مع القائلين بخلق القرءان و كفروهم و بينوا ضلالهم ، ولم يتهاونوا معهم لعظم بدعتهم ، فالخلاصة أن القول بخلق القرءان شر كبير ...

- ثانيا : ذكر شئ من مناظرة أحمد لابن ابي دؤاد ..

،لما كان الإمام أحمد في السجن ،استحضره المعتصم من السجن ،وعقد له مجلساً مع ابن أبي دؤاد وغيره من علماء السوء ،وجلسوا يناقشونه في خلق القرآن ،والإمام أحمد يستدل عليهم بالنصوص الواردة ،ويقول لهم: أعطوني دليلاً من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ،وانفض المجلس ذلك اليوم دون شيء ،وأمر المعتصم برده إلى السجن ،وفي اليوم التالي أحضر من السجن وعقد المجلس ،وكان موقفه رائعاً جليلاً كموقفه في الأمس ،ورغم المحاولات والمناقشات ،صمم الإمام أحمد على كلامه ،وفشل القوم كفشلهم بالأمس ،وانفض الاجتماع ورُد الإمام أحمد إلى السجن ،وفي اليوم الثالث أعيد انعقاد المجلس ،وأُحضر الإمام أحمد من السجن ،وأعيدت المناقشة ،وكان المعتصم عند عقد مجلس المناظرة ،قد بسط بمجلسه بساطاً ،ونصب كرسياً جلس عليه ،وازدحم الناس إذ ذاك ،كازدحامهم أيام الأعياد ،وكان مما دار بينهم ،أن قال للإمام أحمد ،ما تقول في القرآن ،فقال كلام الله غير مخلوق ،قال الله تعالى: وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله قال هل عندك حجة غير

هذا ،قال نعم ،قول الله تعالى: الرحمن علم القرآن ولم يقل: خلق القرآن وقال تعالى: يس والقرآن الحكيم ولم يقل والقرآن المخلوق.

فقال المعتصم: أعيدوه للحبس وتفرقوا ،فلما كان من الغد ،جلس المعتصم مجلسه ذلك وقال: هاتوا أحمد بن حنبل فاجتمع الناس ،وسمعت لهم ضجة ببغداد ،فلما جيء به وقف بين يديه ،والسيوف قد جردت ،والرماح قد ركزت ،والأتراس قد نصبت ،والسياط قد طرحت ،فسأله المعتصم ،عما تقول بالقرآن ،قال أقول غير مخلوق ،واستدل بقوله تعالى: ولكن حق القول مني قال فإن يكن القول من الله تعالى ،فإن القرآن كلام الله ،وأحضر المعتصم له الفقهاء والقضاة ،فناظروه بحضرته ثلاثة أيام ،وهو يناظرهم ويظهر عليهم بالحجج القاطعة ،ويقول أعطوني دليلاً من كتاب الله أو كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال المعتصم قهرنا أحمد ،وتحدث الوشاة عنده من علماء السوء ،أنه قد غلب خليفتين ،فأخذته العزة بالإثم ،فشتمه وهدده بالقتل ،فقال الإمام أحمد: يا أمير المؤمنين: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يحل دمُ امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث)) فبم تستحل دمي وأنا لم آت شيئاً من هذا ،يا أمير المؤمنين تذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل ،كوقوفي بين يديك ،فلما رأى المعتصم ثبوت الإمام أحمد وتصميمه ،لان ،فخشى ابن أبي دؤاد من رأفته عليه ،فقال: يا أمير المؤمنين ،إن تركته قِيل إنك تركت مذهب المأمون ،أو أن يقال ،غلب خليفتين ،فهاجه ذلك ،ثم أعيد إلى السجن مرة أخرى ،وأخرج في رمضان وهو صائم وجعلوا والعياذ بالله يضربونه ،وأتى المعتصم بجلادين كلما ضرب أحدهم الإمام أحمد سوطين ،تأخر وتقدم الآخر ،والمعتصم يحرضهم على التشديد في الضرب ،وهو يقول شدوا عليه قطع الله أيديكم ،ثم نزل المعتصم من كرسيه وجاء للإمام أحمد ،وهو يقول له ،قل بما قلت لك بأن القرآن مخلوق ،فيقول الإمام أحمد: أعطوني دليلاً من كتاب الله أو سنة رسوله حتى أقول به. راجع: تاريخ الطبري 332/7.

(33) عقيدة أهل السنة والجماعة ..

ـ باب : ذكر من ضل في أبواب التوحيد ..

ـ المعتزلة ..

ـ رابعا : أقوال العلماء في المعتزلة ..

ـ قلتُ في المقالات السابقة إنَّ لفظ الجهمية عند العلماء يشمل ثلاث طوائف :

1ـ الجهمية المحضة : أتباع الجعد بن درهم و الجهم بن صفوان و بشر المريسي ،وهؤلاء شدد السلف في النَّكير عليهم و كفروهم و قام الإجماع على أنهم فرقة خارجة عن الإسلام ، و بعض العلماء يُفرِّق بين رؤوس الجهمية و عوامهم ، فيطلق القول بتكفير رؤوسهم ، و يشترط قيام الحجة في تكفير العوام ..

2ـ المعتزلة : و هم طبقة من طبقات الجهمية ، و الإمام أحمد و البخاري و غيرهم يعتبرون المعتزلة جهمية و هو حق لاشك فيه ، و لذلك نقول : هل الحكم واحد في الجهمية و المعتزلة ؟

يعني ما قيل في كفر الجهمية يقال في المعتزلة ؟ و الجواب : نعم ، الحكم واحد لأنه لا معنى للتفريق بين الجهمية المحضة و بين المعتزلة ، فأقوالهم واحدة في باب التوحيد و صفات الله ،وعلة تكفير الجهمية المحضة موجودة في المعتزلة ، فلا يصح التفريق بينهما ، و بعض العلماء ينقل الخلاف في تكفير المعتزلة كالنووي و ابن عابدين و شيخ الإسلام ابن تيمية ، و لكنَّ الأقرب و الأظهر هو القول بكفرهم و الله يهدينا سواء السبيل ، و قد تكلم العلماء في عوام الطوائف كالجهمية و المعتزلة و اشترطوا قيام الحجة و التبيين قبل الحكم بكفرهم وهذا مقبول ، لكنَّ عوام الرَّافضةِ كفار كرؤوسهم فلا يشملهم هذا الخلاف ..

3ـ الأشاعرة : وهم الطبقة الثالثة من طبقات الجهمية و هؤلاء لهم وقفة طويلة .

ـ و نذكر كلام الإمام أحمد في المعتزلة وهو ظاهر في تكفير أحمد لهم : قال أبو داود: قلت لأحمد: من قال: القرآن مخلوق، أهو كافر؟ قال: أقول: هو كافر .. رواه أبو داود في المسائل: 262 و عنه الآجري في الشريعة : 82 ..

وقال عبدالله ابنه: سمعت أبي رحمه الله يقول: "من قال ذلك القول لا يصلى خلفه الجمعة ولا غيرها، إلا أنا لا ندع إتيانها، فإن صلى رجل أعاد الصلاة" يعني: خلف من قال: القرآن مخلوق .. البيهقي في الأسماء والصفات 258 ..

وقال محمد بن يوسف بن الطباع "وكان ثقة": سمعت رجلاً سأل أحمد بن حنبل، فقال: يا أبا عبدالله، أصلي خلف من يشرب المسكر؟ فقال: "لا".

قال: فأصلي خلف من يقول: القرآن مخلوق؟ فقال : سبحان الله، أنهاك عن مسلم، وتسألني عن كافر؟ .. الآجري في الشريعة: 81..

وقال أحمد : علماء المعتزلة زنادقة .. رواه ابن الجوزي في المناقب 185 ..

ـ فهذه أقوال الإمام أحمد ظاهرة في تكفيرالمعتزلة ، و نقل عبدالله بن أحمد في كتاب السنة أقوال جمع من العلماء قالوا بتكفير المعتزلة و منهم :

عبدالله بن المبارك ، إبراهيم بن طهمان ، سلام بن أبي مطيع ، سفيان الثوري ،القاضي أبو يوسف ، الحسن بن عيسى ، النضر بن محمد ، سفيان بن عيينة ، عبدالله بن إدريس ، وكيع بن الجراح ، حماد بن زيد ، معتمر بن سليمان ، عبد الرحمن بن مهدي ، يزيد بن هارون ، يحى القطان ، و ذكر خلقا لا يحصيهم إلا الله ، و قد صنَّف الإمام البخاري رسالة " خلق أفعال العباد و الرد على الجهمية " يعني : المعتزلة ، لأن السلف سمَّوا المعتزلة جهمية ، و صرح البخاري بتكفيرهم ، وهذا قول عامة السلف ..

ـ و حكى شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإمام أحمد عدم تكفير الخليفة المـأمون وترحمه عليه و الدعاء له ، و هذا محل إشكال كبير ، فإنَّ المتواتر عن الإمام أحمد هو تكفير الجهمية و المعتزلة و قد صرَّح

رحمه الله بتكفير بن أبي دؤاد الذي تزعم فتنة خلق القرءان مع المأمون ، و فعل المأمون أقبح و أشنع من غيره ، فإنّه دعا الناس إلى القول بهذه البدعة و عذبهم عليها ، فهو أولى بالكفر من غيره ..

و قد أورد الخلال عن الإمام أحمد حكاية يحتج بها البعض على تكفير أحمد للمأمون و من هؤلاء الشيخ العلوان في شرح الواسطية ،

قال الخلال في السنة 1708 : أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَطَرٍ، قَالَ: ثنا أَبُو طَالِبٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: إِنَّهُمْ مَرُّوا بِطَرَسُوسَ بِقَبْرِ رَجُلٍ، فَقَالَ أَهْلُ طَرَسُوسَ: الْكَافِرُ، لَا رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: نَعَمْ، فَلَا رَحِمَهُ اللَّهُ، هَذَا الَّذِي أَسَّسَ هَذَا، وَجَاءَ بِهَذَا ، وهذا هو قبر المأمون كما ذكر الذهبي في السير ...

وقد نقل الخلال أيضًا في كتاب السنة (120/5 رقم 1767) قال : أخبرني زكريا بن الفرج ، عن أحمد بن القاسم أنَّه قال لأبي عبد الله : ((الشافعي كلمك [يعني: بحضرة المعتصم] ؟.فقال: أخزى الله ذاك [يعني : المعتصم] ما أراه على الإسلام.. انتهى ..

ـ فهذا تكفير أحمد للمعتصم و ما الفرق بين المعتصم و المأمون ؟!

على كل حال ما قيل في الجهمية المحضة نقوله في المعتزلة اتباعا للسلف ..

ـ لكن أنبه على مسألتين :

1- حكاية الخلاف في تكفير المعتزلة ثابتة عن بعض العلماء ، و إنكار ذلك مكابرة و كذب على أهل العلم ، و إنْ كان الأقرب و الأظهر هو القول بتكفيرهم كالجهمية ، لأنهم قالوا بنفي الصفات و خلق القرءان وغير ذلك ..

2- أنّ المنقول عن العلماء في تكفير المعتزلة إنما هو في رؤوسهم ، أمَّا العوام فيشترط العلماء إقامة الحجة و التبيين قبل تكفيرهم ، و هذا مقبول في حق العامي ، فيجب تبيين الأمر لهم و إزالة الشبهة قبل الحكم عليهم ، لأنَّ باب الصفات قد يخفى القول فيه على العامي بل من هو فوقه ..

(34) عقيدة أهل السنة والجماعة ..

ـ باب : ذكر من ضل في أبواب التوحيد ..

ـ المعتزلة ..

ـ خامسا : أثر المعتزلة في الأمة الإسلامية ..

ـ قد يظن البعض أنَّ عقيدة المعتزلة قد انتهت بانتهاء محنة خلق القرءان و موت الخليفة المأمون و أخيه المعتصم ، و لكنَّ الواقع خلافُ ذلك ..

ـ لقد تركَتْ المعتزلة إرثاً كبيرًا ، اقتسم هذا الإرثَ طوائف لا يحصيهم إلا الله ، فمَنْ هم ورثةُ المعتزلة ؟ و مَنْ هم الذين لبسوا ثياب الاعتزال ؟

أولا : الأشاعرة : أوّلُ من حمل عقيدة المعتزلة و التزمها هم الأشاعرة ، و قد سمَّاهم الشيخ تقي الدين ابن تيمية : مخانيث المعتزلة ، و السبب في ذلك أنَّهم يقولون بقول المعتزلة دون تصريحٍ أو جهرٍ ، فليست عندهم الجرأة في إظهار حقيقتهم ، فصاروا كالمخنَّثِ ، و مَنْ درس مذهبهم علم ما أقول ، و الأشاعرة لهم مقالات تخصهم في سلسلتنا هذه إنْ شاء الله و أذن سبحانه ..

ثانيا : المدرسة العقلانية الحديثة ..

ـ هؤلاء هم المعتزلة الجدد، تحت مسمى الفكر والحداثة والتنوير والتجديد ومنكرى السنة والقرآنيون والعصرانيون ، كلُّ هؤلاء معتزلة و لكنه الاعتزال في أفحش و أقبح صوره ، و شيوخ هذه المدرسة و رؤوسها هم :

1ـ جمال الدين الأفغاني : هو شيخ هذه المدرسة و أستاذها الأوَّل و قد تتلمذ على يديه الشيخ محمد عبده شيخ الأزهر و حمل كل أفكاره ..

و لن أتحدث عن الأفغاني كثيرا ، لأنني أهتم فقط بذكر الأسماء كما تفرض عليَّ طبيعة مقالتي هذه ، و لكني أقول كلمة موجزة عن جمال الدين حتى نعرف أنّنا نجهل كثيرا من الحقائق حولنا و هذا سبب الضلال :

كان الأفغاني رأساً كبيراً في الماسونية العالمية، فقد انضم إلى المحفل الماسوني البريطاني، وتركه بعد كلمة ألقاها في المحفل عاب فيها عليهم عدم التدخل في السياسة، وقال فيها: دعوني أكون عاملاً ماسونياً نزيهاً متجنباً للرذائل انتهى .. انظر «خاطرات جمال الدين» لمحمد المخزومي ص 19 ..

ـ و تذكر مصادر التاريخ أنَّ الأفغاني كان شيعيا باطنيا إيرانيا جاء إلى مصر للقيام بمهامَّ سرية ، و قد نجح في ذلك ، فأسس مدرسة الاعتزال في صورتها الجديدة باسم : المدرسة العقلانية أو العصرانية ، و لمَّا زار تركيا

صرح فيها بأنَّ النبوات مكتسبة ، و ليست اختيارا من الله سبحانه ، فجوز بذلك ظهور أنبياء بعد رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ..

اتخذ الأفغاني من بار «ماتنيا» في العتبة الخضراء بالقاهرة، أو في «قهوة البوسطة» قرب ملهى الأزبكية منتدى لسهره وسمره مع أصدقائه وتلامذته في مصر، و اتخذ الأعوان والمساعدين من اليهود والنصارى، فقد جعل من معاونيه يعقوب صنوع اليهودي صاحب الأموال، وأبو نظارة النصراني والذي رثاه في «العروة الوثقى»، وسليم عنجوري النصراني الذي تسلم صحيفة (مرآة الشرق) ، سأكتفي بذلك لأنني كما قلت هذه المقالات لا تعتني بناحية تاريخية ، و لكن أشير إلى تأثر جماعة الإخوان المسلمين بالأفغاني في كثير من نشاطاتها و معتقداتها و هذا معلوم لطلاب العلم و أنقل كلاما للشيخ حسن البنا تصديقا لما أقول :

قال الشيخ حسن في مذكرات الدعوة والداعية ص 182 :

«بنى مصطفى كامل وفريد وجدي، ومن قبلهما جمال الدين ومحمد عبده نهضة مصر، ولو سارت في طريقها ولم تنحرف عنه؛ لوصلت إلى بغيتها، أو على الأقل لتقدمت ولم تتقهقر، وكسبت ولم تخسر» فهذا ثناء البنا على الأفغاني و غيره كثير سأتجنبه خوف الإطالة ...

2- محمد عبده وتلميذه محمد رشيد رضا قبل رجوعه إلى مذهب أهل السنة ودفاعه عن منهج شيخ الإسلام وأئمة الدعوة ..

3- أحمدخان الهندي وأحمد أمين، وزهدي جار الله، وزكي نجيب محمود ومعروف الدواليبي ومحمد البهي , نصر أبو زيد ..

4- الدكتور محمد عمارة الدكتور حسن الترابى و سليم العوا ..

5- الداعية المشهور الدكتور طارق السويدان ، و هذا الرجل له كوارث تحتاج مجلدات لحديث عنها ...

6- الداعية عمروخالد ، وهذا له طوام يعرفها اليهود و النصارى فضلا عن أهل الحق من أهل الإسلام ..

7- الشيخ محمد الغزالي صاحب فقه السيرة وكتبه و تسجيلاته تشهد ..

8- يوسف القرضاوي : هذا الرجل يسعى في هدم الإسلام و هو من البلايا والرزايا الكبار ، و أنا شخصيا لا أعرف له دينا ينتسب إليه ..

- على كل حال القائمة طويلة جدا ، لكن المهم أنْ نفهم أنَّ المعتزلة لم ينتهوا و لم ينقرضوا ، لكن في صورة جديدة ، و أقول من باب العدل : المعتزلة القدماء كان لهم دور كبير في الذفاع عن الإسلام ضد شبه أهل الكفر و الإلحاد في بعض جوانب الشريعة ، و كان فيهم علماء و فقهاء ، أمّا المدرسة العقلانية التي أسسها الأفغاني و محمد عبده ، فهذه شر محض

و الدليل أنَّ يوسف القرضاوي و عمرو خالد من أبنائها ، إخوان النصارى قبح الله وجوههم و أذاقهم العذاب في الدنيا و الآخرة ..

35) عقيدة أهل السنة و الجماعة ..

- باب : ذكر من ضل في أبواب التوحيد ..

- الأشاعرة ..

- أولا : التعريف بالأشاعرةِ و أشهر شيوخها ..

- الأشاعرة هم الامتداد الحقيقيُّ للمعتزلة و إنْ خالفوهم في بعض المسائل ، والصفة الجامعة للمعتزلة و الأشاعرة هي :

1- أنهما من المعطلة : لأنَّهما نفاة في باب الصفات على طريقة الجهمية ، و إنْ كانت درجة النَّفي تختلف من الجهمية إلى المعتزلة و الأشاعرة ، فالجهمية : نفاة محضة : نفوا كل أسماء الله وصفاته ، و المعتزلة : أثبتوا لله أربع صفات : الوجود و الحياة و العلم و القدرة ، و الأشاعرة : أثبتوا لله سبع صفات : الحياة و العلم و القدرة و الكلام النَّفسي و الإرادة و السمع و البصر ،

2- أنَّهما من أهل الكلام و الفلسفة : فكلٌّ من المعتزلة و الأشاعرة قد اتخذ من الفلسفة اليونانية مصدرا في إثبات العقيدة و الرد على المخالف بحجج العقل التي أثبتها أفلوطين و أرسطو وغيرهم من الفلاسفة ، و لذلك فهم عقلانيون كما سيأتي ..

على كلِّ حالٍ نقول : من هم الأشاعرة من حيث النَّسبةِ العامة ؟

والجواب :هم أتباع أبي الحسن الأشعري الذي ترك المعتزلة بعد أنْ كان من شيوخها ، وقد اتخذت الأشاعرة البراهين والدلائل العقلية والكلامية وسيلة في إثبات العقائد الدينية و في الردِّ على خصومهم ، و الأشاعرة لهم صولاتٌ وجولاتٌ في الردِّ على النَّصارى و غيرهم من خصوم الإسلام و لهم مواقف تُحسبُ لهم لا ينكرها منصفٌ عادلٌ من أهل السنَّةِ كما سيأتي ...

ـ ثانيا : من هو أبو الحسن الأشعري ؟ ..

وُلِدَ أبو الحسن في سنة 260 هـ و توفي 324 هـ ، و لقبُه الأشعري نسبة إلى الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري، وأبو الحسن اسمه علي بن اسماعيل ،و نشير هنا إلى مراحل حياة أبي الحسن و هي ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : نشأ أبو الحسن الأشعري في بيت أبي علي الجُبائي شيخ المعتزلة و أكبر رؤوسها ولازمه أربعين عاما ، و شرب منه الاعتزال المحض حتى صار أكبر مُناظرٍ عن عقيدة المعتزلة ، و كان بارعا في الفلسفة اليونانية و المنطق و الجدل ، و كان ينوب عن الجُبائي في المناظرات ..

المرحلة الثانية : رجوع أبي الحسن الأشعري عن عقيدة الاعتزال و اتباعه عقيدة عبدالله بن سعيد بن كُلاَّب (بضم الكاف و تشديد اللام) و ابنُ كُلاَّب هو زعيم فرقة الكُلاَّبيةِ ،والكُلاَّبية يقولون بتأويل النصوص بما يتفق مع أحكام العقل، وإثبات الصفات السبع عن طريق العقل: الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام، أما الصفات الخبرية كالوجه واليدين والقدم والساق فتأولها على ما ظن أنها تتفق مع أحكام العقل وهذه هي المرحلة التي ما زال الأشاعرة عليها.

المرحلة الثالثة : رجوع أبي الحسن الأشعري إلى عقيدة السلف و القول

بإثبات الصفات و له كتاب الإبانة عن أصول الدِّيانة صرح فيه بعموم عقيدة السلف ، لكن لم يكن رجوعه كاملا ، كان فيه شوْبٌ من آثار الاعتزال و الكُلاَّبيةِ ،ولذلك الأشاعرة ينكرون رجوعه لعقيدة السلف و هذا

يؤيده بعض أهل السنة ،لكن غالب علماء السنة يقرون رجوعه رحمه الله ..

قال شيخ الإسلام رحمه الله :

"فلما كان في كلامه شَوْبٌ من هذا وشوب من هذا، صار يقول من يقول: إن فيه نوعا من التجهم. وأما من قال: إن قوله قول جهم، فقد قال الباطل. ومن قال: إنه ليس فيه شيء من قول جهم، فقد قال الباطل، والله يحب الكلام بعلم وعدل، وإعطاء كل ذي حق حقه، وتنزيل الناس منازلهم."
مجموع الفتاوى 205/12..

ـ فكلام شيخ الإسلام عن أبي الحسن يوضح فيه أنَّ الرجل لم يكن سلفيا محضا ،بل فيه نوع تأثر بما كان عليه ، وهذا هو العدل و الإنصاف ، و على كل حال :

رحم اللهُ أبا الحسن الأشعري و عفا عنه وغفر له ، فالعصمة ماتت بموت رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ..

ثالثا : شيوخ الأشاعرة ..

قبل ذكر شيوخ الأشاعرة أقول :

إنَّ بعض الأسماء المشهورة في مذهب الأشاعرة قد رجع في آخر حياته وتاب الله عليه من هذا المذهب و قال بقول أهل السنة و منهم : إمام الحرمين الجويني و أبي حامد الغزَّالي صاحب الإحياء و سيأتي ذكر ذلك في هذه المقالات ، لكن ما أريده من إخواني طلبة العلم هو :

اعلموا أنَّ ربَّكم توابٌ رحيمٌ ، يقبل التوبة و يعفو ويصفح مهما كان الذنب ،و نصرتكم للسنة ليست بسبِّ عالمٍ تاب ورجع عن بدعته ، فأنصفوا و اعدلوا ،فليس على الفتنة كبير وربي ، الكلُّ مفتون إلاَّ من عصم الله و رحم ، و أنت كيف تنصر السنة ؟ هل بسبِّ أبي حامد الغزالي ؟ هل بسبِّ الجويني ؟ لا ثمَّ لا ، هذا عبث وليس نصرة للسنة ، بل سوء أدب و جهل ، نصرة السنة بتعلمها و العمل بها و نشرها و التحذير من البدعة و أهلها ، لكنَّ التحذير يكون بأدبٍ كما كان علماؤنا رحمهم الله

على كل حال نقول :

أشهر الشيوخ الذين هم العمدة عند الأشاعرة :

1- القاضي أبو بكر الباقلاني: المتوفي سنة 402هـ ، هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، من كبار علماء الكلام، هذَّب بحوث الأشعري ، وتكلَّم في مقدمات البراهين العقلية للتوحيد وغالى فيها ، ثم انتهى إلى مذهب السلف وأثبت جميع الصفات و أبطل التأويل في كتابه: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل .

2- أبو إسحاق الشيرازي: المتوفي 476هـ ،هو إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز أبادي الشيرازي، العلامة المناظر، ولد في فيروز أباد بفارس وانتقل إلى شيراز، ثم البصرة ومنها إلى بغداد سنة (415هـ) . وظهر نبوغه في الفقه الشافعي وعلم الكلام ، فكان مرجعاً للطلاب ومفتياً للشافعية في عصره ..

3- أبو حامد الغزالي: المتوفى 505هـ ، وهو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، صاحب إحياء علوم الدين و غيره من المؤلفات المشهورة ، رجع في آخر حياته عن عقيدة الأشعرية و مات وهو يقرأ صحيح البخاري ..

4- أبو إسحاق الإسفراييني: المتوفى سنة 418هـ، وهو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، أبو إسحاق عالم بالفقه والأصول وكان يلقب بركن الدين وهو أول من لقب به من الفقهاء .

5- إمام الحرمين أبو المعالي الجويني: توفي سنة 419وهو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، الفقيه الشافعي ولد في بلد جوين (من نواحي نيسابور) ثم رحل إلى بغداد، فمكة حيث جاور فيها أربع سنين، وذهب إلى المدينة المنورة فأفتى ودرّس ، وكان يحضر دروسه أكابر العلماء . وبقي على ذلك قريباً من ثلاثين سنة غير مزاحم ولا مدافع، ودافع فيها عن الأشعرية فشاع ذكره في الآفاق، إلا أنه في نهاية حياته رجع إلى مذهب السلف و ذم الكلام و أظهر ندمه رحمه الله ..

6- الفخر الرازي : توفي سنة 606هـ ، هو أبو عبد الله محمد بن عمر الحسن بن الحسين التيمي الطبرستاني الرازي المولد، الملقب فخر الدين المعروف بابن الخطيب الفقيه الشافعي ، رجع في أواخر عمره إلى مذهب

السلف ، وأعلن أنه أسلم المناهج بعد أن دار دورته في طريق علم الكلام فقال:

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية رأيتها لا تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق، طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات (الرحمن على العرش استوى) و (إليه يصعد الكلم الطيب و العمل الصالح يرفعه)، و أقرأ في النفي (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) و (ولا يحيطون به علماً)، ثم قال في حسرة وندامة : ومن جرب تجربتي عرف معرفتي " أهـ . من الفتى الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية ...

(36) عقيدة أهل السنة والجماعة ..

ـ باب : ذكر من ضل في أبواب التوحيد ..

ـ الأشاعرة ..

ـ رابعًا : مقالات الأشاعرة ..

الأشاعرة لهم مقالات في أبواب التَّوحيد و الاعتقاد يتميزون بها عن غيرهم ، نذكر أشهرها و أهمّها على سبيل الإيجاز و الاختصار ..

1- العقل هو مصدر التلقي عند الأشاعرة في العقيدة و أصول الدين ..

ـ يقول الأشاعرة : إنَّ المصدر الذي نأخذ منه العقائد و أصول الدين هو العقل ، لأنَّ حكم العقل قطعيٌ جازم ، و أمَّا النقل أي : الشّرع ، فدلالته ظنيةٌ وليست قطعية ،و لذلك إذا تعارض النَّصُّ مع العقل ، فإنَّهم يقدمون العقل على النَّص كما هو مشهور في مذهبهم ، لكنهم يقدمون النقل في أمور الغيب و الآخرة ..

ـ فالعقل بذلك هو الحُجَّةُ في أبواب العقائد و التوحيد و القدر و الصفات ،و يُسمَّون هذه الأبواب : العقليات ، أمَّا الغيب الذي لم يرَهُ الإنسانُ فلا دخل

للعقل في حكمه بل مردُّه النقل أي نصوص القرءان والسنة ، و يسمَّونها السَّمعيات ..

ـ و هذا الأصل صرَّح به الأشاعرة في كتبهم كالفخر الرازي في كتابه (أساس التقديس) في الفصل الثاني والثلاثين ص 172 و 173 ، و كذلك الإمام أبو المعالي الجويني في الإرشاد ، و السنوسي في كتابه (شرح عقيدة أهل التوحيد الكبرى) ، و الغزّالي و ابن فورك و البيجوري صاحب الجوهرة التي تُدَرَّسُ في الأزهر الشريف ـ زعموا ـ حتى قال السنوسي أحد رؤوس الأشاعرة :

أصول الكفر ستة: ثم عد خمسة وقال ـ سادساً : التمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير عرضها على البراهين العقلية والقواطع الشرعية .. أهـ ص 502 ..

ـ قال الرازي في تفسير قوله تعالى : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " الفجر: 22، (واعلم أنه ثبت بالدليل العقلي أن الحركة على الله تعالى محال ، لأن كل ما كان كذلك كان جسماً) انتهى كلامه ..

هنا يعتمد الرازي في تفسير صفة المجيء على حكم العقل ، و ينفي الصفة لأنَّها عندهم تقتضي الحركة ، و الحركة من صفات الجسم أي : المخلوق ، و هذا عندهم يوجب تشبيه الخالق بالمخلوق فوجب نفي الصفة لنفي المشابهة ..

ـ ثمَّ يؤول الصفة تأويلا فاسدا و يقول إنَّ المجيء بمعنى مجيء قهره سبحانه ، أو مجيء حسابه و جزاءه ، أو مجيء الملائكة ، و كلُّ ذلك هروبا من التشبيه عندهم ، و أهل السنَّة يثبتون المجيء لله سبحانه كما ثبت في القرءان على ظاهره ..

ـ و قال البيجوري في الجوهرة المعتمدة ي الأزهر :

ومما يوهم الجسمية قوله تعالى: {وجاء ربك} وحديث الصحيحين: (ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير ، المراد: وجاء عذاب ربك أو أمر ربك الشامل للعذاب ، والمراد ينزل ملك ربنا فيقول عن الله ... إلخ.) اهـ

و قال ايضا :

ومما يوهم الجوارح قوله تعالى: {ويبقى وجه ربك} و{يد الله فوق أيديهم} وحديث: (إن قلوب بني آدم كلها كقلب واحد بين أصبعين من أصابع من الرحمن) والمراد من الوجه: الذات ، وباليد: القدرة ؛ والمراد من قوله: (بين أصبعين من أصابع الرحمن) بين صفتين من صفاته وهاتان الصفتان: القدرة والإرادة ..

ـ و قال الصاوي في حاشيته على الجلالين : " الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر " و رد عليه العلامة الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان فقال :

وأما قوله : إن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة ، من أصول الكفر ، فهذا أيضاً من أشنع الباطل وأعظمه ، وقائله من أعظم الناس انتهاكاً لحرمة كتاب الله وسنة لرسوله صلى الله عليه وسلم ..

ـ فالخلاصة أنَّ الأشاعرة عندهم العقل هو مصدر التلقي في أبواب التَّوحيد و العقائد ، و هو المقدم على النقل من الكتاب و السنة و هذا سبب ضلالهم ...

(37) عقيدة أهل السنة والجماعة ..

- باب : ذكر من ضل في أبواب التوحيد ..

- الأشاعرة ..

رابعا : مقالات الأشاعرة ..

2- قولهم في باب الصفات ..

الحديث عن عقيدة الأشاعرة في باب الصفات ليس بالسهل الهين ، لأن أئمة هذا المذهب تعددت أقوالهم في هذا الباب فبعضهم يؤول ثم يترك التأويل ويقول بالتفويض كالذي حكوه عن أبي المعالي الجويني عفا الله عنه ..

ثم يأتي تلاميذ الإمام فيختلفون في أي القولين هو المعتمد في الباب و هكذا تضطرب الأقوال ..

- لكن الأشاعرة متفقون علي أمور في باب الصفات :

الأول : اتفق الأشاعرة على إثبات سبع صفات لله عز جلاله ، و يسمونها صفات المعاني وهي :

الحياة ، العلم ، القدرة ، الكلام النفسي ،الإرادة ، السمع ، البصر ..

الثاني : اتفق متأخرو الأشاعرة على نفي الصفات الخبرية المتعلقة بمشيئة الله تعالى مثل :

الاستواء ، النزول إلى سماء الدنيا ، الضحك ، الغضب ، الرضى ، الكلام ..

الثالث : اتفق متأخرو الأشاعرة على نفي الصفات الخبرية الذاتية كالوجه واليدين و العينين و غيرها..

- و التعبير هنا بقولي « متأخرو الأشاعرة » لأن الأوائل من الأشاعرة يثبتون بعض الصفات الخبرية الذاتية و الفعلية كالمؤسس أبي الحسن الأشعري وبعض أصحابه ، لكن مذهب النفي أسسه أبو المعالي الجويني و هو الذي استقر عليه

مذهب الأشاعرة ..

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في درء تعارض العقل مع النقل ص 380 : وليس للأشعري نفسه في إثبات صفة الوجه واليد والاستواء وتأويل نصوصها قولان , بل لم يختلف قوله أنه يثبتها ولا يقف فيها بل يبطل تأويلات من ينفيها, ولكن أبو المعالي وأتباعه ينفونها, ثم لهم في التأويل والتفويض قولان: فأول قول أبي المعالي التأويل, كما ذكره في (الإرشاد) وآخرهما التفويض , كما ذكره في (الرسالة النظامية) وذكر إجماع السلف على المنع من التأويل وأنه محرم.

وأما أبو الحسن وقدماء أصحابه فهم من المثبتين لها. وقد عدَّ القاضي أبوبكر في (التمهيد) و (الإبانة) له الصفات القديمة: خمس عشرة صفة, ويسمون هذه الصفات الزائدة على الثمانية الصفات الخبرية. وكذلك غيرهم من أهل العلم والسنة, مثل محمد بن جرير الطبري وأمثاله, وهو قول أئمة أهل السنة والحديث من السلف ..

انتهي كلامه ..

في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية أمور :

1- أن الأشعري يثبت الصفات الخبرية الذاتية كالوجه واليدين ، و هذا قول قدماء أصحاب أبي الحسن وقد حكاه شيخ الإسلام في مواضع من كتبه ، والقول بالإثبات محكي عن ابن فورك والبيهقي والقاضي أبي بكر بن الطيب و هؤلاء أشاعرة ..

2- أن القول بالنفي أسسه الإمام الجويني وهو الذي استقر عليه مذهب الأشاعرة ، ولذلك فالأشاعرة طبقات و لهم أقوال متعددة و الخلاف بينهم كبير ، وقد ينفي بعضهم ما أثبته غيره و هذا شأن أهل البدع ..

و قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

والذي كان أئمة السنة ينكرونه على ابن كلاب والأشعري بقايا من التجهم والاعتزال, مثل اعتقاد صحة طريقة الأعراض, وتركيب الأجسام, وإنكار اتصاف الله بالأفعال القائمة التي يشاؤها ويختارها, وأمثال ذلك من المسائل ..

وأما المتأخرون من الأشعرية فقد "مالوا إلى نوع التجهم, بل الفلسفة, وفارقوا قول الأشعري وأئمة أصحابه الذين لم يكونوا يقرون بمخالفة النقل للعقل, بل انتصبوا لإقامة أدلة عقلية توافق السمع..

انتهي كلامه .. درء التعارض 97..

فبين الشيخ تقي الدين ابن تيمية أن متأخري الأشاعرة أفسد من متقدميهم لأنهم تشبعوا بالفلسفة و التجهم ..

- و بهذا يتبين أن الأشاعرة نفاة للصفات كالجهمية و المعتزلة ، و إن كان النفي يتفاوت بين هؤلاء الثلاث ..

- والصفات السبع التي يثبتها الأشاعرة هم ست صفات في الحقيقة ، لأنهم يقولون : نحن نثبت لله صفة الكلام ، وهذا كذب منهم ، لأنهم يقولون :

إن كلام الله ليس بصوت ولا حرف ، إنما هو كلام نفسي ، مجرد معان تتعلق بذاته سبحانه ، وهم بهذا نفاة لصفة الكلام ..

ولذلك قالوا إن القرءان هو عبارة عن كلام الله ، و إن جبريل أخذه من اللوح المحفوظ ومنهم من قال: إن محمدا هو الذي عبر ، هو الذي أتى بهذه الألفاظ، هذه الألفاظ من قول جبريل أو من قول محمد، والله لم يتكلم لا بحرف ولا صوت

- و كذلك قالوا : إنه لا يجوز وصف الله بصفة الرحمة على الحقيقة ، لأن الرحمة رقة وضعف ، وهي بالمخلوق أولى ، ثم فسروا صفة الرحمة بإرادة الخير .

فمعنى الرحمن عندهم : هو الذي يريد الخير بعباده ، لا أنه موصوف بالرحمة ..

- وكذلك الأشاعرة ينفون صفة العلو والاستواء و يقولون : إن الاستواء في الآية هو الاستيلاء على العرش وليس هو العلو عليه و الارتفاع ..

و الاستواء بإجماع أهل اللغة يفسر بالعلو إذا تعدى بحرف الجر على ، نعم له معان متعددة ، لكنه إذا تعدى بعلى دل على العلو والارتفاع إجماعا ، وذكر البخاري في صحيحه عن أبي العالية: استوى إلى السماء ارتفع، وقال مجاهد: "استوى: علا على العرش".أ.هـ. ص 403 فتح .. وقال البغوي في تفسير قوله تعالى: {ثم استوى إلى السماء}، قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف: أي ارتفع إلى السماء. وقال في تفسير قوله: {ثم استوى على العرش}، قال الكلبي ومقاتل: استقر وقال أبو عبيدة: صعد.

- على كل حال هذا كلام مختصر جدا في بيان قول الأشاعرة في الصفات و خلاصته هو أنهم نفاة جهمية ...

(38) عقيدة أهل السنة والجماعة ..

- باب : ذكر من ضل في أبواب التوحيد ..

- الأشاعرة ..

رابعا : مقالات الأشاعرة ..

3- قولهم في رؤية الله يوم القيامة ..

مذهب الأشاعرة في الرؤية، ملفق من مذهب أهل السنة ومذهب المعتزلة ، قال الأشاعرة : نعم سيرى المؤمنون ربهم يوم القيامة و هذه موافقة منهم لأهل السنة ، ثم فسروا الرؤية بما يدل على نفي الرؤية الذي يقوله المعتزلة فقالوا :

رؤية الله حق يوم القيامة ، و لكنها رؤية في غير جهة ، فلن يكون الله أمام الرائي و لا خلفه و لا عن يمينه ولا عن يساره ،ولا فوقه ولا تحته ، إذن أين يكون الله سبحانه ؟ لا وجود له للناظرين !!

- لماذا قال الأشاعرة ذلك ؟ قالوا :

لأننا لو أثبتنا الجهة فقد أثبتنا أنه سبحانه جسم كالمخلوق ، ففروا من الجسمية بنفي الرؤية حقيقة ..

فلاهم يثبتون الرؤية حقيقة كأهل السنة ولا هم ينكرونها حقيقة كالمعتزلة و إنما جمعوا بين القولين و أحدثوا قولا لا معنى له إلا إنكار الرؤية ..

وهم يرون أيضا أنها رؤية مجردة عن النعيم واللذة أي أن المؤمنين لا يتنعمون برؤيتهم لربهم ولا يتلذذون بذلك وقولهم هذا يخالف إجماع السلف والنصوص المتواترة فهذا قولهم الاول ...

الثاني : إثبات الرؤية مع تأويلها بزيادة الإنكشاف أي فسروا الرؤية بالعلم لا رؤية البصر وهو اختيار بعض الأشاعرة كالفخر الرازي ..

- فإثبات الرؤية عندهم مصحوب بأمرين : نفي الجهة و نفي علو الله تعالى ، و هذا نفي للرؤية في الحقيقة كما قال العلماء ..

- وأهل السنة يقولون : إن رؤية الله حق يوم القيامة ، يراه المؤمنون بأبصارهم حقيقة ، وقد أجمع السلف على أن المؤمنين يرون ربهم عياناً بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر، وكما يرون الشمس صحواً ليس دونها سحاب، في عرصات القيامة، وفي الجنة. والدليل على ذلك: الكتاب، والمتواتر من حديث النبي صلى الله عليه وسلم، والإجماع.

ونفي الرؤية بدعة مكفرة بإجماع السلف، بل قال شيخ الإسلام رحمه الله: (إن من بلغته نصوص الرؤية ولم يقل بها، فإنه يكون كافراً إذا قامت الحجة عليه بها)، وقد جاء عن غير واحدٍ من السلف كـأحمد ومالك ، أنهم سموا الخلاف في هذه المسألة كفراً ومن دلائل الرؤية قوله تعالى: « لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ » يونس:26 ، فلفظ الزيادة لفظ مجمل، لكنه صلى الله عليه وسلم في حديث صهيب الذي رواه مسلم فسر الزيادة بالنظر إلى وجه الله، ومن هنا كان هذا اللفظ مبيناً بالسنة.

ولكن : هل يلزم من الرؤية الإحاطة ؟ الجواب لا ، لأننا نرى السماء بأعيننا ومع ذلك لا نحيط بها ، ولما قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: يا ابن عباس :

إن الله يقول: « وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ » القيامة:22-23 ، ويقول: (لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ)، فقال له ابن عباس رضي الله عنهما: ألست ترى السماء؟ قال الرجل: بلى؛ قال: أتدركها كلها؟ قال الرجل: لا. قال فالله أعظم.

4- قولهم في صفة العلو و الاستواء ..

الأشاعرة ينكرون علو الله على خلقه ، وبعضهم يقول : هو في كل مكان تجده ، وهذا قول الحلولية منهم وهو شائع فيهم ، و منهم من يقول : ليس داخل العالم ولا خارجه ولا فوقه ولا تحته ، بل وجوده مجرد عن أي جهة يكون فيها ، فأقوالهم مضطربة ولكنهم مجمعون على إنكار العلو ...

- و هم ينفون العلو لأنه يلزم منه إثبات الجهة عندهم و الجهة لا تكون إلا للأجسام ، و كذلك الاستواء ينكرونه لأنه يلزم منه التحيز وهذا أيضا خاص بالأجسام ..

وإثبات علو الله تعالى معلوم بالاضطرار من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وفي القرءان سورة باسم الله « الأعلى » ، و سمى نفسه العلي كما في آية الكرسي ، و كان رسول الله يقول في سجوده :

« سبحان ربي الأعلى » ثم يأتي الأشاعرة و يقولون : ليس بأعلى ولا نصفه بالعلو ، وكذبوا ، فالله أعلى وله صفة العلو ، علو ذاته على خلقه و علو ذاته على عرشه كما هو قول أهل السنة قاطبة ..

- ولهذا كان السلف مطبقين على تكفير من أنكر ذلك ، لأنه عندهم معلوم بالاضطرار من الدين ..

وسياق الأدلة مما يصعب حصره، وقد ذكر شيخ الإسلام أنها تبلغ مئتين، وأن الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم, والصحابة, والتابعين متواترة موافقة لذلك ...

- ونقل شيخ الإسلام عن بعض أكابر أصحاب الشافعي أنه قال: "في القرآن ألف دليل أو أزيد تدل على أن الله تعالى عالٍ على الخلق، وأنه فوق عباده، وقال غيره: فيه ثلاثمائة دليل تدل على ذلك..

- و أهل السنة يقولون :

إن فطرة الإنسان تدل على علو الله تعالى بذاته على كل مخلوقاته ، فإن كل داع لله تعالى دعاء عبادة، أو دعاء مسألة لا يتجه قلبه حين دعائه إلا إلى السماء، ولذلك تجده يرفع يديه إلى السماء بمقتضى فطرته، كما قال ذلك الهمداني لأبي المعالي الجويني: "ما قال عارف قط: يا رب إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو". فجعل الجويني يلطم على رأسه ويقول: "حيرني الهمداني، حيرني الهمداني". هكذا نقل عنه، سواء صحت عنه أم لم تصح، فإن كل أحد يدرك ذلك، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الرجل يمد يديه إلى السماء، يارب، يارب إلى آخر الحديث، ثم إنك تجد الرجل يصلي وقلبه

نحو السماء لاسيما حين يسجد، ويقول: "سبحان ربي الأعلى" لأنه يعلم أن معبوده في السماء سبحانه وتعالى.

5- قولهم في كلام الله تعالى ..

يقول الأشاعرة : إنه معنى واحد قائم بذات الله ، يُسمَّى بالكلام النفسي ، وهو الأمر والنهي والخبر والاستخبار ، إن عُبِّر عنه بالعربية كان قرآناً وإن عُبِّر عنه بالعبرانية كان توراة ، وإن عُبِّر عنه بالسيريانية كان إنجيلاً. (فالكلام عندهم هو معني واحد فهمه جبريل ولم يسمعه ، ثم فصَّله بطريقته الخاصة إلى الأمر والنهي والخبر والاستخبار وعبَّر عن ذلك باللغات المناسبة.)

وإنه ليس كلامه تعالى بحرف ولا صوت ، ولا يوصف بجهر ولا سر ، ولا تقديم ولا تأخير ، ولا وقف ولا سكون ، ولا وصل ولا فصل ، لأن هذا كله من صفات الحوادث .

- وهذا في حقيقته وصف لله تعالى بأنه أبكم لا يتكلم ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ..

ومذهب أهل السنة أنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء وهو يتكلم بحرف وصوت يُسمع وأن نوع الكلام قديم (يعني أن اتصاف الله سبحانه وتعالى بالكلام أمر أزلي ، وأما الصوت المُعيَّن لا يلزم أن يكون قديماً) وإن لم يكن الصوت المعين قديماً .

- ولذلك فإنهم قالوا بخلق القرءان كالمعتزلة و إن أنكروا ذلك فهم كذبة مخنثون لا دين لهم ..

- على كل حال هذه المقالات الغاية منها الإشارة المجملة لعقيدة أهل السنة و لمن خالفهم من أهل البدع كالاشاعرة ..

(39) عقيدة أهل السنة والجماعة ..

- باب : ذكر من ضل في أبواب التوحيد ..

- الأشاعرة ..

- رابعا : مقالات الأشاعرة ..

6- قولهم في أبواب الألوهية ..

- عقيدة الأشاعرة في باب توحيد الألوهية من أشر الأقوال كأسلافهم من الفلاسفة و الجهمية و المعتزلة ، بل قد يزيد فحشا لأنهم تمرغوا بين أيدي فلاسفة اليونان فشربوا أصولهم الفاسدة حتى صاروا يفسدون عقائد المسلمين نيابة عن أرسطو و أفلوطين لعنهم الله ..

- و نحن نقول : إن التوحيد هو :

«إفراد الله بالعبادة » فلابد من الإفراد ، لأن الرجل قد يصلي و يصوم ويتصدق و يذكر الله ويتقرب إليه ، و مع ذلك نحكم بأنه مشرك ، لأنه لم يفرد ربه بالعبادة ،

فصرف شيئا منها لصاحب ضريح كالبدوي و الحسين و زينب ، أو أنه تحاكم إلى المحاكم الشركية ، فمن فعل ذلك فهو مشرك ، سواء كان جاهلا أو عالما أو مقلدا او متأولا ، فإنه لا عذر بالجهل في الشرك إجماعا و لا بالتأويل ولا بالتقليد ..

- و أما الأشاعرة فإنهم يفسرون التوحيد بأنه إثبات وجود الله و إثبات قدرته على خلق الأشياء و إيجادها ، مع تجريد الله من كل أوصاف الكمال والجلال ، لأنهم نفاة للصفات كما قد عرفنا ...

قال أبو الحسن الأشعري: إذا كان الخالق على الحقيقة هو الباري تعالى لا يشاركه في الخلق غيره فأخص وصفه تعالى هو: القدرة على الاختراع. قال: وهذا هو تفسير اسمه تعالى الله .

الملل والنحل (93/1)

- فذكر الأشعري أن أخص صفات الله هو قدرته على الاختراع ، و قال : و هذا تفسير اسمه تعالى « الله ..

وذكر البغدادي في أصول الدين عن الأشعري :« "واختلف أصحابنا في معنى الإله: فمنهم من قال إنه مشتق من الألهية، وهي: قدرته على اختراع الأعيان، وهو اختيار أبي الحسن الأشعري"

أصول الدين للبغدادي 123 ..

وقد حكى الرازي هذا القول ذاكراً دليله دون أن يسمي قائله، فقال في صدد حكاية مذاهب الناس في أصل اشتقاق اسم الله تعالى (الله) قال:
"القول السابع: الإله من له الإلهية، وهي القدرة على الاختراع، والدليل عليه أن فرعون لما قال:« وَمَا رَبُّ الْعَالَمِين» [الشعراء: 23]: قال موسى في الجواب: رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [الشعراء: 24] فذكر في الجواب عن السؤال الطالب لماهية الإله: القدرة على الاختراع، ولولا أن حقيقة الإلهية هي القدرة على الاختراع لم يكن هذا الجواب مطابقاً لذلك السؤال .. شرح أسماء الله للرازي 142..

- فالتوحيد عندهم هو نفي تعدد الآلهة و إثبات وجود إله واحد للكون ، وهذا الإله هو القادر على الاختراع ، يعني : الإيجاد والخلق ، و أما التوحيد الذي نزلت به الكتب و دعت إليه الرسل ، فلا وجود له عندهم ، ولذلك نقول :

إن أبا جهل كان أعلم بالتوحيد من هؤلاء ، لأنه كان يعلم أن الإله هو المعبود المطاع ، لا القادر على الاختراع كما يقوله هؤلاء ..

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

وليس المراد (بالإله) هو القادر على الاختراع كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين حيث ظن أن الإلهية هي القدرة على الاختراع دون غيره وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا هو .

فإن المشركين كانوا يقرون بهذا وهم مشركون كما تقدم بيانه بل الإله الحق هو الذي يستحق بأن يعبد فهو إله بمعنى مألوه لا إله بمعنى آله والتوحيد أن يعبد الله وحده لا شريك له والإشراك أن يجعل مع الله إلها آخر .

وإذا تبين أن غاية ما يقرره هؤلاء النظار أهل الإثبات للقدر المنتسبون إلى السنة إنما هو توحيد الربوبية وإن الله رب كل شيء ومع هذا فالمشركون كانوا مقرين بذلك مع أنهم مشركون ... انتهى كلامه ..التدمرية 180 ..

- و لذلك نجد الأشاعرة ينكرون تقسيم التوحيد إلى ربوبية و إلوهية و يشنعون على ذلك ، لأن هذه القسمة تهدم أصولهم ، فالرجل لا يكون موحدا حتى يأتي بكل أنواع التوحيد ، فيقر بربوبية الله تعالى ،

ثم يصرف له العبادة وحده سبحانه ..

- يقول أحمد زيني دحلان في رسالة :

الدرر السنية في الرد على الوهابية :

وأما جعلهم التوحيد نوعين: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية فباطل أيضاً"

ثم يقول : فإن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية، ألا ترى إلى قوله تعالى: « أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُواْ بَلَى [الأعراف»: 172] ولم يقل: ألست بإلهكم!، فاكتفى منهم بتوحيد الربوبية"

ذكره في ص 40 ...

قال الشيخ السهسواني في رد هذه الشبهة : « والمقصود: ألست بربكم وإلهكم، يدل عليه أثر ابن عباس رضي الله عنهما: "إن الله لما مسح صلب آدم, فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وتكفل لهم بالأرزاق ، وفي أثر أبي بن كعب رضي الله عنه – (فذكره وفي آخره): "اعلموا أنه لا إله غيري, ولا رب غيري, فلا تشركوا بي شيئاً، فإني سأرسل إليكم رسلي, يذكرونكم عهدي, وميثاقي, وأنزل عليكم كتبي، قالوا: نشهد أنك ربنا وإلهنا، لا رب لنا غيرك, ولا إله لنا غيرك، فأقروا له يومئذ بالطاعة » انتهى.. كتاب صيانة الإنسان عن و سوسة دحلان ص 446...

- والرجل إذا ذبح لغير الله و دعاه و سأله الشفاعة لا يكون مشركا عند الأشاعرة إلا إذا اعتقد أن صاحب الضريح مؤثر بنفسه ، وهذا قرروه بأنفسهم فقالوا :

« فالذي يقدح في التوحيد هو اعتقاد التأثير لغير الله, أو اعتقاد الألوهية, واستحقاق العبادة لغير الله، وأما مجرد النداء من غير اعتقاد شيء من ذلك فلا ضرر فيه" انظر : الدرر السنية في الرد على الوهابية للشيخ المشرك دحلان ص35 ...

- و ما يقوله الشيخ المشرك دحلان لم يقل به متقدمو الأشاعرة كأبي المعالي الجويني و الفخر الرازي ، و إنما هي أقوال التزمها غالب الأشاعرة المعاصرين كالشيخ المشرك دحلان ومن أشبهه ، و إن كانت هناك طوائف منهم تخالف ذلك نظرا لتأثرهم بعلماء السنة و عدم تمكنهم من أصول مذهبهم الذي يلزم منه ما قرره دحلان و غيره ...

(40) عقيدة أهل السنة و الجماعة ..

- باب : ذكر من ضل في أبواب التوحيد ..

- الأشاعرة ..

- خامسا : هل الحافظ ابن حجر أشعري ؟

- نذكر في هذه المسألة قولا عدلا بإذن الله ، لأن الناس في باب الحكم على شخص أو طائفة ، يحكمون بالعاطفة لا بالعقل و العلم و إدراك الواقع كما هو ..

- وقبل الجواب أقول :

الإمام ابن حجر - رحمه الله - له قدم صدق في الإسلام و له حسنات كبيرة لا يمكن إنكارها و لا التعامي عنها ، و يكفيه أن العلماء قالوا في كتابه فتح الباري :

« لا هجرة بعد الفتح » لأنه شرح لا نظير له في كثرة فوائده و اشتماله على جملة من علوم الشريعة ، و على هذا أقول :

مهما يكن الحكم الذي سأقرره في هذه المسألة ، فإن ابن حجر سيظل قامة علمية كبيرة لا يضره كلام الخلق فيه ، وهو إمام عالم له وعليه و العصمة ماتت بموت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ..

- و أما الجواب عن مسألتنا :

هل الحافظ ابن حجر أشعري ؟ نقول :

- لو أن فقيها شافعيا أخذ بقول الإمام أحمد في بعض المسائل ، هل نقول إنه صار حنبليا ؟ أم نقول إنه شافعي له موافقات للحنابلة ؟ لاشك أنه الثاني ، نقول هو فقيه شافعي وافق الحنابلة في أمور ولم يخرج عن كونه شافعيا ..

- و الذي ينظر في شروحات الحافظ ابن حجر - رحمه الله - لا يستطيع أن يجزم بنسبته إلى طائفة معينة ، فله كلام يوافق فيه أهل السنة و الحديث ، وهذا ما جعل أهل السنة ينسبونه إليهم وينفون عنه تهمة الأشعرية ، وله كلام يوافق فيه الأشاعرة ، و هذا ما جعل الأشاعرة ينسبونه إليهم ، و له كلام يوافق المفوضة كابن قدامة والقاضي أبي يعلى و كثير من الحنابلة ، فإن الحنابلة قد شاع فيهم التفويض ...

- و من موافقات الإمام ابن حجر لأهل السنة ما يلي :

1- موافقته لأهل السنة في مسألة مصدر التلقي و مخالفته للأشاعرة ..

وفي ذلك يقول رحمه الله : ((أما بعد فإن أولى ما صرفت فيه نفائس الأيام وأعلى ما خص بمزيد الإهتمام الإشتغال بالعلوم الشرعية المتلقاة عن خير البرية ولا يرتاب عاقل في أن مدارها على كتاب الله المقتفى وسنة نبيه المصطفى وأن باقي العلوم أما الات لفهمهما وهي الضالة المطلوبة أو أجنبية عنهما وهي الضارة المغلوبة)) مقدمة الفتح : 1/ 3.

- فتقديمه للكتاب والسنة هو عين كلام أهل السنة والأثر ، و هذا يخالف عقيدة الأشاعرة القائلين بتقديم العقل على الشرع ..

2- إنكاره على الفخر الرازي اتباعه للفلاسفة ، فقال :

((والفخر كان من أئمة الأصول وكتبه في الأصلين شهيرة سائرة وله ما يقبل وما يرد)) لسان الميزان له : 318/6.

وقال رحمه الله : ((ورأيت في الإكسير في علم التفسير للنجم الطوفي ما ملخصه ما رأيت في التفاسير أجمع لغالب علم التفسير من القرطبي ومن تفسير الإمام فخر الدين إلا أنه كثير العيوب فحدثني شرف الدين النصيبي عن شيخه سراج الدين السرميا حي المغربي أنه صنف كتاب المآخذ في مجلدين بين فيهما ما في تفسير الفخر من الزيف والبهرج وكان ينقم عليه كثيرا)) المصدر السابق.

وقال ((وقال بصحة الاعراض وبنفي صفات الله الحقيقية وزعم أنها مجرد نسب وإضافات كقول الفلاسفة وسلك طريق أرسطو في دليل التمانع))
لسان الميزان لابن حجر: 320/6

3- إثباته لصفات الله من غير تأويل :

((قال الشيخ شهاب الدين السهروردي في كتاب العقيدة له أخبر الله في كتابه وثبت عن رسوله الاستواء والنزول والنفس واليد والعين فلا يتصرف فيها بتشبيه ولا تعطيل إذ لولا أخبار الله ورسوله ما تجاسر عقل أن يحوم حول ذلك الحمى .

قال الطيبي هذا هو المذهب المعتمد وبه يقول السلف الصالح وقال غيره لم ينقل عن النبي صلى الله عليه و سلم ولا عن أحد من أصحابه من طريق صحيح التصريح بوجوب تأويل شيء من ذلك ولا المنع من ذكره ومن المحال أن يأمر الله نبيه بتبليغ ما أنزل إليه من ربه وينزل عليه اليوم أكملت لكم دينكم ثم يترك هذا الباب فلا يميز ما يجوز نسبته إليه مما لا يجوز مع حضه على التبليغ عنه بقوله ليبلغ الشاهد الغائب حتى نقلوا أقواله وأفعاله وأحواله وصفاته وما فعل بحضرته فدل على أنهم اتفقوا على الإيمان بها على الوجه الذي أراده الله منها ووجب تنزيهه عن مشابهة المخلوقات بقوله تعالى ليس كمثله شيء فمن أوجب خلاف ذلك بعدهم فقد خالف سبيلهم وبالله التوفيق)) فتح الباري لابن حجر : 390/13.

4- إثباته لكلام الله تعالى ورده ما سواه بالإجمـــاع:

وفي ذلك قال رحمه الله : ((وأجمع السلف والخلف من أهل السنة وغيرهم على أن كلم هنا من الكلام ونقل الكشاف عن بدع بعض التفاسير أنه من الكلم بمعنى الجرح وهو مردود بالإجماع المذكور)) فتح الباري: 479/13.

* وقال رحمه الله : ((وأورد البخاري في كتاب خلق أفعال العباد أن خالد بن عبد الله القسري قال إني مضحي بالجعد بن درهم فإنه يزعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما وتقدم في أول التوحيد أن سلم بن أحوز قتل جهم بن صفوان لأنه أنكر أن الله كلم موسى تكليما)) المصدر السابق نفس الصفحة .

5- إنكاره على المتأولين ونعته تأويلهم بالتحريف:

وفي ذلك قال رحمه الله : (قوله ينزل ربنا إلى السماء الدنيا استدل به من أثبت الجهة وقال هي جهة العلو وأنكر ذلك الجمهور لأن القول بذلك يفضي إلى التحيز تعالى الله عن ذلك وقد اختلف في معنى النزول على أقوال فمنهم من حمله على ظاهره وحقيقته وهم المشبهة تعالى الله عن قولهم ومنهم من أنكر صحة الأحاديث الواردة في ذلك جملة وهم الخوارج والمعتزلة وهو مكابرة والعجب إنهم أولوا ما في القرآن من نحو ذلك وأنكروا ما في الحديث أما جهلا وأما عنادا ومنهم من أجراه على ما ورد مؤمنا به على طريق الإجمال منزها الله تعالى عن الكيفية والتشبيه وهم جمهور السلف ونقله البيهقي وغيره عن الأئمة الأربعة والسفيانين والحمادين والأوزاعي والليث وغيرهم ومنهم من أوله على وجه يليق مستعمل في كلام العرب ومنهم من أفرط في التأويل حتى كاد أن يخرج إلى نوع من التحريف)) فتح الباري لابن حجر : 3/ 30..

لكن الذي يظهر هنا هو ميوله إلى التفويض ..

6- تشنيعه على من نفى الصفات بحجة استلزام التشبيه ثم الإشادة بمذهب أهل السنة :

وفي ذلك قال رحمه الله : ((وقد سمي المعتزلة أنفسهم أهل العدل والتوحيد وعنوا بالتوحيد ما اعتقدوه من نفي الصفات الإلهية لاعتقادهم أن إثباتها يستلزم التشبيه ومن شبه الله بخلقه أشرك وهم في النفي موافقون للجهميةوأما أهل السنة ففسروا التوحيد بنفي التشبيه والتعطيل)) فتح الباري:344/13.

* وقال رحمه الله : ((وليس الذي أنكروه على الجهمية مذهب الجبر خاصة وإنما الذي أطبق السلف على ذمهم بسببه إنكار الصفات حتى قالوا إن القرآن ليس كلام الله وأنه مخلوق)) فتح الباري:345/13.

7- وقال الحافظ (469/13) ((وقالت الأشاعرة كلام الله ليس بحرف ولا صوت وأثبتت الكلام النفسي، وحقيقته معنى قائم بالنفس وإن اختلفت عنه العبارة كالعربية والعجمية، واختلافها لا يدل على اختلاف المعبر عنه، والكلام النفسي هو ذلك المعبر عنه، وأثبتت الحنابلة أن الله متكلم بحرف

وصوت، أما الحروف فللتصريح بها في ظاهر القرآن، وأما الصوت فمن منع قال إن الصوت هو الهواء المنقطع المسموع من الحجرة، وأجاب من أثبته بأن الصوت الموصوف بذلك هو المعهود من الآدميين كالسمع والبصر، وصفات الرب بخلاف ذلك فلا يلزم المحذور المذكور مع اعتقاد التنزيه وعدم التشبيه، وأنه يجوز أن يكون من غير الحنجرة فلا يلزم التشبيه، وقد قال عبد الله بن أحمد ابن حنبل في كتاب السنة سألت أبي عن قوم يقولون لما كلم الله موسى لم يتكلم بصوت، فقال لي أبي: بل تكلم بصوت، هذه الأحاديث تروى كما جاءت وذكر حديث ابن مسعود وغيره))

- هذه بعض النقولات التي يظهر فيها موافقته الظاهرة لأهل السنة و مخالفته للأشاعرة ، و لكن القارئ يلاحظ شيئا وهو : أنه لا يتبنى عقيدة أهل السنة و يصرح بصحتها و يبطل ما سواها ، ونحن تعودنا من علماء السنة التصريح ببطلان كل ما سوى أصول أهل السنة ، فهذه تظهر لي في كلامه عفا الله عنه ، و لعلي أكون واهما في ذلك ..

- ومن كلام ابن حجر الذي وافق فيه الأشاعرة تأويله للصفات و صرفها عن ظاهرها و تصريحها بالمجاز :

1- تأويل العين واليد والوجه :

قال الحافظ 13/401-402: "والثاني: أن العين كناية عن صفة البصر، واليد كناية عن صفة القدرة، والوجه كناية عن صفة الوجود.

2- تأويل اليدين :قال الحافظ 13/405: "وقال غيره: هذا يساق مساق التمثيل للتقريب؛ لأنه عهد أن من اعتنى بشيء واهتم به باشره بيديه، فيستفاد من ذلك أن العناية بخلق آدم كانت أتم من العناية بخلق غيره..."اهـ.

3- نعته لمن خالفه بالمجسمة في قضية الاستواء قال الحافظ 13/416: "وقالت الجسمية: معناه الاستقرار"اهـ.

4- قال الحافظ (10 / 258) على حديث رقم 5788

"قوله: (لا ينظر الله) أي لا يرحمه؛ فالنظر إذا أضيف إلى الله كان مجازًا، وإذا أضيف إلى المخلوق كان كناية، ويحتمل أن يكون المراد لا ينظر الله إليه نظر رحمة..

5- قال الحافظ 7 / 145 على حديث رقم (3827) قال: " والمراد بغضب الله إرادة إيصال العقاب ..

- فهذه بعض النقولات التي تثبت قوله بقول الأشاعرة في تأويل الصفات ، و مخالفته لمذهب أهل السنة ..

- لكن يظهر في بعض كلامه ميوله إلى التفويض ، حتى النقولات التي نستدل بها على أنه من اهل السنة ليست صريحة في ذلك ، بل هي أقرب إلى التفويض..

قال الحافظ في المقدمة ص 136 :

1- قـــوله " استوى على العرش " هو من المتشابه الذي يفوض علمه إلى الله تعالى ، ووقع تفسيره في الأصل .اهـ

و الذي قصده ابن حجر هو تفويض المعنى لا الكيف ، يعني : إثبات اللفظ و عدم التعرض للمعني ، وهذا قول المفوصة كأبي يعلى الحنبلي و غيره ..

- على كل حال أقول :

من قال إنه من أهل السنة فسيجد من كلامه ما يؤيد ذلك ، و من قال إنه أشعري فسيجد الكثير من كلامه يؤيده ، و كذلك من قال هو مفوض كما قال الشيخ سفرالحوالي وغيره ...

- إذن نقول : ابن حجر مع أي الطوائف ؟

وجوابي الذي ارتضيه لنفسي بعد بحث وتدقيق هو :

أن الإمام ابن حجر - عفا الله عنه - من المفوضة وليس اشعريا و إن كانت له موافقات كثيرة للأشاعرة ، و كذلك لا ننسبه لصريح معتقد أهل السنة ، مع أنه وافق أهل السنة في أمور كثيرة ، لكن الإمام - رحمه الله - لم يتخذ أصول أهل السنة عقيدة له و يدافع عنها و يبطل ما سواها حتى نقول إنه إمام من أئمة مذهب السنة كابن تيمية مثلا او ابن القيم ، و كذلك لم يهاجم

أهل السنة و يصرح بنصرة الاشاعرة و ينتصر لأصولهم ، بل هو بين السنة و الأشاعرة و المفوضة ، فالخلاصة نقول : ابن حجر من المفوضة و هذا كابن قدامة و القاضي أبي يعلى و ابن عقيل ، و إن كان ابن قدامة أصح اصولا من ابن حجر ، عفا الله الجميع ..

(41) عقيدة أهل السنة و الجماعة ..

- باب : ذكر من ضل في أبواب التوحيد ..

- الأشاعرة ..

- خامسا : الإمام النووي و القائد صلاح الدين..

1- الإمام النووي صاحب رياض الصالحين ..

ـ الإمام النّووي من علماء القرن السابع الهجري وكان ورعا تقيا عابدا ، اختلف النَّاس في نسبته إلى أهل السنّة كالحافظ ابن حجر ، البعض ينسبه إلى أهل السنة و البعض ينسبه للأشاعرة و البعض يقول هو من المفوضة ، ثلاثة أقوال في الإمام النووي ...

ـ قال الذهبي في ترجمة (النووي) في تاريخ الإسلام :

إن مذهبه في الصفات السمعية السكوت ، وإمرارها كما جاءت ،وربما تأول قليلاً في شرح مسلم ونقله السَّخاوي في ((ترجمة الإمام النووي)) (36)عنه ، وتعقبه بقوله :

((كذا قال، و التأويل كثير في كلامه ، ونقل السَّخاوي قبل ذلك عن بعض مترجميه أنه وصفه بأنه أشعري ، فقال : (ص 36) : وصرح اليافعي والتاج السُّبكي _ رحمهما الله _ أنه أشعري ..انتهى ..

ـ و الإمام النووي تأثر بالقاضي عياض صاحب الشِّفا في حقوق المصطفى ، و القاضي عياض أشعريٌ في باب الصِّفات ، و النّووي أكثر من النَّقل عنه في شرح مسلم و تـأثر به ، فوقع منه التأويل في الصِّفات ، و كذلك

في زمن النووي كان الأشاعرة منتشرون جدا في بلاد مصر والشّام و كان لهم صيتٌ ذائع ، فتـأثر النّووي بهذه الحركة العلمية للأشاعرة وهذا الانتشار الشديد ..

ـ لكنَّ النووي كان أبعد الناس عن علم الكلام والفلسفة و كان محدثا أثريا ، فوافق أهل السنة في عموم أصولهم فرحمه الله رحمة واسعة ..

ـ و موقفنا من الإمام النّووي هو الاعتذار عنه بأنّه اجتهد وأخطأ و الخطأ مغفور إنْ شاء الله ، فنأخذ علمه وندرس مؤلفاته و نترك جانب التأويل في الصفات ..

2- صلاح الدين الـأيوبي :

الـأمير الشّهم الورع الذي كسَّر الصليب و أهان أهله ، كان من أسرةٍ مجاهدةٍ ، فـأبوه نجم الدين أيوب القائد الشجاع ، و عمّه أسدالدين شيركوه الذي أرهب قلوب النَّصارى و أذلّهم ، رحم الله هؤلاء الأبطال ..

ـ هل كان صلاح الدين أشعريا ؟ نعم ، كان أشعريا على عقيدة أبي الحسن التي استقر عليها في الإبانة ، و أبوالحسن في الإبانة قريب من أهل السنة ، و إنْ كان له أخطاء رحمه الله فهذا بسبب تمرغه في عقيدة أبي علي الجبائي إمام المعتزلة ..

ـ وقد وجدت كلاما للشيخ عبد الرحمن المحمود في كتابه " موقف ابن تيمية من الأشاعرة " أنقله بتمامه :

(صلاح الدين الأيوبي: يقول المقريزي: " وأما العقائد فإن السلطان صلاح الدين حمل الكافة على عقيدة أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري تلميذ أبي علي الجبائي، وشرط ذلك في أوقافه التي بديار مصر كالمدرسة الناصرية بجوار قبر الإمام الشافعي من القرافة، والمدرسة الناصرية التي عرفت بالشريفية " ثم يقول عن المذهب الأشعري: « فلما ملك السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ديار مصر كان هو وقاضيه صدر الدين عبد الملك بن عيسى بن درباس الماراني على هذا المذهب قد نشأ عليه منذ كانا في خدمة السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بدمشق، وحفظ صلاح الدين في صباه عقيدة ألفها له قطب الدين أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري، وصار

يحفظها صغار أولاده، فلذلك عقدوا الخناصر وشدوا البنان على مذهب الأشعري، وحملوا في أيام دولتهم كافة الناس على التزامه، فتمادى الحال على ذلك جميع أيام الملوك من بني أيوب، ثم في أيام مواليهم الملوك من الأتراك وإذا كان قطب الدين مسعود قد ألف لصلاح الدين عقيدة فإن الفخر الرازي قد ألف كتابه المشهور « أساس التقديس » - الذي نقضه شيخ الإسلام ابن تيمية- للملك العادل محمد بن أيوب بن شادي أخو صلاح الدين. المتوفى سنة 615 ،أما ابنه الأشرف بن العادل فقد مال إلى الحنابلة وأهل السنة في العقيدة، وجرت بينه وبي العز بن عبد السلام- وهو أشعري – مناقشة ومحنة طويلة) إهـ .

فالخلاصة أنّه أشعريٌ ، لكن له من الحسنات ما يشفع له و لم يُعرف عنه أنّه كان يؤذي أهل السنة ، بل هو الذي دافع عن السنة وهزم خصومها في زمانه ..

على كل حالٍ : ذكرتُ هؤلاء الثلاثة : ابن حجر و النووي و صلاح الدين ، لكثرة السؤال عنهم ، واعلموا : أنَّ أسماء الأشاعرة في أهل العلم و الجهاد ليست قليلة ، فلهم علوم و فنون ولهم حسنات كبار في الدفاع عن أهل الإسلام عموما ، غفر الله للجميع ...

(42) عقيدة أهل السنة والجماعة ..

- باب : ذكر من ضل في أبواب التوحيد ..

- الأشاعرة ..

-سادسا : الحكم على الأشاعرة ..

- هل الأشاعرة من أهل السنَّة أم من أهل الضَّلال ؟ و هل يكفرون بعقيدتهم هذه ؟ ..

- و الجواب عن ذلك أنْ نقول :

لاشكَّ في ضلال الأشاعرة و مجانبتهم للسنة و الكتاب وهذا بإجماع أئمة العلم ، وليس في ضلال الأشاعرة قولان عند أهل السنة والحديث ، فإنَّ قوما قدَّموا أرآء أفلوطين و أرسطو وفلاسفة اليونان على كلام الله ورسوله

، لاشكَّ في ضلالهم و فساد عقيدتهم ، و ليس هذا قولي و إنّما هو قول عامة أهل السنة والحديث ، و لا أعلم خلافا بين أهل العلم في كلامي هذا الذي نقلته ..

ـ وقد كتب العلماء في الردِّ عليهم و تضليلهم و من ذلك :

1- رسالة الردِّ على الأشاعرة لأبي الوفاء ابن عقيل ..

2- رسالة إلى أهل زبيد في الردِّ على من أنكر الحرف والصوت للإمام السجزي ..

3- الرسالة الواضحة في الردِّ على الأشاعرة لابن الحنبلي ..

4- بيان تلبيس الجهمية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وهي رسالة في الرد على الفخر الرازي ،و الإمام ابن تيمية هو إمام الدين والدنيا بلا نزاع ولم يأت بعده مثله ..

5- الصواعق المرسلة في الردِّ على الجهمية و المعطلة لابن القيم ..

ـ وقد بيَّنَ أصحاب هذه الرسائل ضلال الأشاعرة و فساد عقيدتهم و مخالفتها للكتاب والسنة و إجماع السلف ، و بينوا حيرة الأشاعرة و ترددهم و فساد أصولهم ، فليرجع إليها من يشاء ..

ـ ثمَّ أقول : هل يكفر الـأشاعرة بعقيدتهم هذه ؟ و الجواب عن ذلك أن نقول : في كفرهم قولان لأهل العلم : القول الأوَّل : ذهب إلى تكفيرهم الإمام الحجة الهروي الأنصاري ، ذكر ذلك في كتابه (ذمَّ الكلام و تكفير الجهمية) و أراد بالجهمية الأشاعرة و الكُلابية ، وذهب الإمام ابن حزم في الفصل في الملل والنحل إلى تكفير ابن فورك و الباقلاني ، و كذلك ابن الجوزي في كتابه المنتظم كفر الأشاعرة ، و كان السجزي رحمه الله يلعن الأشاعرة ،

و أمَّا القول الثاني : فقد ذهب كثير من أهل العلم إلى اعتبارهم من أهل القبلة ، مع اعتبارهم فرقة ضالة منحرفة عن الكتاب والسنة ، ومن هؤلاء الإمام ابن تيمية رحمه الله ، و هو الذي أميل إليه إنْ شاء الله ..

ـ و أنبه على مسألة مهمة : الأشاعرة المعاصرون قبورية صوفية يفشو فيهم الشرك و الإلحاد ، و قد وقفت بنفسي على كلامهم من أفواههم ،

فمنهم طائفة لا تكفر اليهود والنصارى كشيخ الأزهر الحالي وغيره كثير ، و كثير منهم يجيز الاستغاثة بأصحاب القبور ، و غالبهم أعوان للطواغيت و سند لهم ، و موقف الأزهر الأشعري معلوم للجميع في الدفاع عن الطواغيت و الملاحدة واليهود والنصارى ، و لذلك فإني أقول :

إنّني أجزم بتكفير الأشاعرة المعاصرين و لا أشكُّ في ذلك طرفة عين ، و أسأل الله أن يُثبتَ قلبي على عقيدتي هذه ،و كيف لا أقول بتكفير من حكموا بعدم كفر اليهود والنصارى ومن سوَّغوا الشرك

لعامة المسلمين والمساكين و السذج ،لاشك في كفر هؤلاء عندي بأعيانهم ، وعلى كل حالٍ هذه عقيدتي الصافية النقية المؤيدة بالكتاب والسنة وكلام السلف فالله المستعان ..

- و أقول كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

وَمَنْ جَالَسَنِي يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنِّي : أَنِّي مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ نَهْيًا عَنْ أَنْ يُنْسَبَ مُعَيَّنٌ إلَى تَكْفِيرٍ وَتَفْسِيقٍ وَمَعْصِيَةٍ ، إلَّا إذَا عُلِمَ أَنَّهُ قَدْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ الرسالية الَّتِي مَنْ خَالَفَهَا كَانَ كَافِرًا تَارَةً وَفَاسِقًا أُخْرَى وَعَاصِيًا أُخْرَى ..

(43) عقيدة أهل السنة والجماعة ..

- صفوة القول في المقالات السابقة ..

- الحمدلله وبعد :

كتبت في هذه السلسلة (42) مقالا ، هذه المقالات هي شرح للركن الأول من أركان الإيمان الستة المذكورة في حديث جبريل ، وهو ركن الإيمان بالله سبحانه ..

- وهذا المقال أذكر فيه خلاصة ما سبق فأقول :

1- الإيمان بالله هو الركن الأول من أركان عقيدة أهل السنة والجماعة ، و الإيمان بالله يراد به :

الإيمان بأربعة أمور :

أولا : الإيمان بوجوده سبحانه ..

ثانيا : الإيمان بربوبيته ..

ثالثا : الإيمان بألوهيته ..

رابعا : الإيمان بأسماءه وصفاته ..

2- هذه الأمور الأربعة هي حقيقة الإيمان بالله ، و لا يكون العبد مؤمنا بالله إلا بأن يؤمن بهذه الأصول الأربعة على الصفة الشرعية التي شرحتها في المقالات ..

3-قضية وجود الله لم ينازع فيها أحد من الخلق إلا شرذمة قليلة ، لكن عامة الخلق أقروا بوجوده سبحانه ، لكن الإقرار بوجوده هو جزء من الإيمان به وليس هو كل الإيمان ..

4- قضية الربوبية ايضا محل وفاق بين الخلق ولم ينكرها أحد ، لكن أنبه : الكفار آمنوا بالربوبية إجمالا ، أما تفصيلا فلا ، لأنهم لو آمنوا بها تفصيلا لآمنوا بالله معبودا و لما أشركوا به ..

5-قضية الألوهية هي محل النزاع و الخصام بين الأمم ، فأنكرها قوم أذكياء لهم عقل إدراكي ، كمشركي مكة وغيرهم من أهل الكفر والضلال ، فالنزاع كله في الألوهية و لذلك كانت هي حقيقة دعوة الرسل والأنبياء ..

6- قضية الأسماء والصفات ، هي محل خلاف و شقاق بين الناس ، حتى صاروا ثلاثة أقسام :

أ) أهل السنة والحديث : أثبتوا لله كل الأسماء والصفات على الصفة الشرعية التي وردت في الكتاب والسنة بفهم الصحابة و من تبعهم ...

ب) الممثلة : أثبتوا أسماء الله وصفاته ، لكنهم اعتقدوا أن الله يشبه الخلق ، فله صفات تشبه عباده فصاروا عباد أصنام ..

ج) المعطلة النفاة : و هم أقسام ثلاثة :

- الجهمية : أنكروا كل صفات الله و نفوها ، و بعضهم أنكر أسماءه وهم غلاة الجهمية ، و هؤلاء كفار بالإجماع ..

- المعتزلة : أثبتوا لله أربع صفات ، و أنكروا كل ما سواها ، و هؤلاء فيهم قولان للعلماء ، والصواب أنهم كفار ..

- الأشاعرة : أثبتوا لله سبع صفات فقط ،و نفوا كل ما سواها ، و للعلماء فيهم قولان ، و الأقرب أنهم من أهل القبلة ..

- هذا ملخص عام للمسائل التي شرحتها تحت مسمى الركن الأول من اركان الإيمان ، و نستأنف إن شاء الله المقالات ،و نكتب في ركن الإيمان بالملائكة ..

(44) عقيدة أهل السنة والجماعة ..

- الركن الثاني من أركان الإيمان الستة: الإيمان بالملائكة الكرام ..

- هذا هو ثاني أركان الإيمان ، أن نؤمن بالملائكة كما جاء في حديث جبريل عليه السلام ..

- و المقصود من الإيمان بالملائكة أي : أن نعتقد وجودهم كما وردت بذلك النصوص و منها قوله تعالى : « آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ » البقرة: 285 ، فالآية صريحة في إثبات وجود الملائكة ، و لذلك من أنكر وجود الملائكة فإنه يكون كافرا بذلك ،لأنه كذب القرءان و كذب السنة ..

- و من هم الملائكة ؟ و الجواب :

هم مخلوقات نورانية ، خلقهم الله من النور ، فهم عباد له سبحانه ، يطيعونه ليل نهار و لا يعصون أمره ، و لا يأكلون و لا يشربون و لا ينامون و لا يتزوجون ، و عددهم كثير لا يعلمه إلا الله ..

- و الملائكة ليسوا ذكورا و ليسوا إناثا ،و من قال إنهم ذكور فهو فاسق عاص لله ، و من قال هم إناث فهو كافر جاهل يفتري على الله الكذب وهذا نص عليه أهل العلم ، قال تعالى :

« وَجَعَلُوا المَلائِكَةَ الذِّينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَنَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيَسْأَلُون » الزخرف ،، فأنكرت الآية عليهم قولهم بأنوثة الملائكة ، ولذلك القول بأنهم إناث فيه تكذيب للقرءان ، لأنه أبطل ذلك و نفاه وهؤلاء يثبتونه ، فهذا وجه تكفيرهم بذلك ..

- و هل الملائكة قوة خفية كما يقولون ؟

والجواب : إن ذلك يقوله أهل الإلحاد و الضلال ، فالملائكة خلق معلوم لنا ، وله وظائف عرفنا بعضها من القرءان والسنة ،فلا يجوز القول بذلك كما يقوله أهل الضلال ...

- و من أي شئ خلقهم الله تعالى ؟

والجواب : خلقهم من النور ، كما عند مسلم من حديث عائشة أنه - صلى الله عليه وسلم - قال : « خلقت الملائكة من نور » الحديث ،، و هل هذا النور من نور ذات الله سبحانه ؟ أم أنه نور خاص خلقه الله وجعله مادة خلق الملائكة ؟ لاشك أنه الثاني ، فإن مادة خلق الملائكة هي نور خلقه و جعله أصل خلقة الملائكة ..

- فإذا قال قائل : كيف يكونون من نور وهم أجسام ؟ و الجواب أن نقول : النور جسم كما قال كثير من العلماء ، كما أن الإنسان مخلوق من الطين وهو جسم ، فمادة النور هي أصل خلقة الملائكة ، ومادة الطين هي أصل خلقة الإنسان ، و الإنسان نراه جسما وهو من الطين ، وكذلك الملائكة هي أجسام لكنها نورانية ، و الله على كل شئ قدير .

- وكذلك نقول : إن الموت ليس جسما في الدنيا ، و لكنه سيكون جسما في الآخرة ، يأتي في صورة كبش ثم يذبح بين الجنة والنار ، فالذي جعل الموت جسما هو الذي جعل الملائكة أجساما ..

- ولماذا حجب الله الملائكة عنا فلا نراهم ؟ و الجواب : أن إيمان الإنسان بالغيب الذي لا يراه هو محل الابتلاء و الاختبار ،وبه يكون المدح والذم ، لكن لو كانوا ظاهرين لنا ، لما كان للإيمان بهم مزية ،

فلذلك حجبهم الله عن عباده ..

ومتى خلق الله الملائكة ؟ والجواب : قبل الإنسان؛ لقوله تعالى :

« وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً » البقرة: 30 ، فهذا يدل على أن الملائكة كانت مخلوقة قبل الإنسان ...

(45) عقيدة أهل السنة والجماعة ..

- الركن الثاني من أركان الإيمان الستة: الإيمان بالملائكة الكرام ..

- وظائف الملائكة ...

- ذكرت في المقال السابق أهم ما يتعلق بركن الإيمان بالملائكة و لن نطيل في هذا الركن لشيوع العلم به ، لكن أذكر مسألتين : الأولى : أن الإيمان بالملائكة له صفتان :

أحدهما : إيمان مجمل : وهو الإيمان بأنها مخلوقات نورانية ، لا يجري عليها ما يجري على البشر ، و أنهم طائعون لله دوما ، لا يعصونه ، و أن لهم وظائف مكلفون بها ، هذا القدر يكفي في الإيمان وهو قدر مجمل ..

-والثاني : إيمان مفصل : وهو معرفة أحوالهم و ما كلفهم الله به ، وصفاتهم و ما ورد بحقهم في نصوص الشريعة ، وهذا القدر يتفاوت فيه الناس كل بحسبه ..

و المسألة الثانية : ذكر شئ من أعمالهم ..

- فمنهم الموكل بالوحي، وهو الروح الأمين جبريل؛ قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: 97]، وقال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾ [الشعراء: 193، 194].

- و قد سماه الله روحا لأنه كان ينزل على الأنبياء بما فيه حياة القلوب و الأرواح ، وهو كلام الله إلى رسله وأنبيائه ..

-ومنهم الرعد ، والرعد ملك من الملائكة ، ففي سنن الترمذي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((الرعد ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب، معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله))و"المخراق": آلة، وفي الأصل: ثوبٌ يلف ويضرب به الصبيان ..

ومنهم الموكل بالصور، وقد ثبت في الحديث قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((كيف أنعم وقد التقم صاحب القَرْنِ القَرْنَ، وحنى جبهته، وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر أن ينفخ فينفخ؟!))، قال المسلمون: فكيف نقول يا رسول الله؟ قال: ((قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، توكلنا على الله ربنا)) ..

- ومنهم ملك الموت ، و لايصح في تسميته شئ ، ليس هو عزرائيل و لا عبدالرحمن ، و إنما هو ملك الموت ..

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [السجدة: 11].

وقال تعالى في بيان أعوانه: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام: 61].

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴾ [الأنفال: 50].

• ومنهم الموكلون بحفظ العبد، في حِلِّه وارتحاله، وفي نومه ويقظته، وفي كل حالاته.

قال تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [الرعد: 11].

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ [الأنعام: 61].

قال ابن عباس رضي الله عنه: "المعقبات من الله هم الملائكة، جعلهم الله ليحفظوا الإنسان من أمامه ومن ورائه، فإذا جاء قدر الله الذي قدر أن يصل إليه، خلوا عنه..

وقال مجاهد: "ما من عبد إلا له ملك موكل بحفظه في نومه ويقظته من الجن الإنس والهوام، فما منها شيء يأتيه إلا قال له الملك: وراءك، إلا شيء أذن الله فيه، فيصيبه"..

ومنهم الموكلون بكتابة الأعمال:

فيكتبون أعمال العباد من خير أو شر؛ قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار: 10 - 12].

وقال تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: 17، 18]

و"القعيد": المترصد، و"الرقيب العتيد": أي: المراقب المعد ذلك.

وظاهر الآيتين أنه يكتب كل ما يصدر من الإنسان من أفعال وأقوال ظاهرة وباطنة، لا يتركون شيئًا؛ لذلك قال تعالى عن المشركين: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ [الكهف: 49].

وقد ثبت في بعض الروايات أن ملك اليمين يكتب الحسنات، وملك الشمال يكتب السيئات.

ومنهم حملة العرش:

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ [غافر: 7]، وقال تعالى: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ [الحاقة: 17]..

وهذا العدد في القيامة ، أما في الدنيا فحملة العرش أربعة ، واحد منهم على صورة أسد ، و الآخر على صورة نسر والثالث على صورة ثور ، والرابع على صورة رجل ...

- هذا آخر ما يتعلق بهذا الركن و قد أجملته لشيوع العلم به ...

(46)عقيدة أهل السنة والجماعة ..

- الركن الثالث : الإيمان بالكتب الإلهية ..

- يعني : أن تعتقد أنها منزلة من عند الله على رسله لهداية الخلق و بيان الطريق الموصلة إلى الله عز وجل ...

- و أن تعتقد أنها كلام الله تعالى ، تكلم بها حقيقة متى شاء ، أي : في زمن معلوم عنده ، و كيف شاء ، أي : بالكيفية التي يريدها ، فمرة يتكلم بالوحي مباشرة بدون واسطة ، ومرة بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام ، و بما شاء ،أي : مرة يتكلم بأمر أو نهي ، ومرة بقصص للاعتبار ، ومرة بترغيب ومرة بترهيب ، فكلامه سبحانه يشمل أنواعا كثيرة ...

وقد قال تعالى في هذا كله :

« وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ » الشورى:51 ، وقال تعالى: « وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً» النساء:164، وقوله « وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ » الأعراف:143، وغير ذلك من الآيات ..

قال ابن أبي العز الحنفي-رحمه الله تعالى-: وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين، فنؤمن بما سمى الله تعالى منها في كتابه، من التوراة والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى وأما الإيمان بالقرآن، فالإقرار به، واتباع ما فيه، وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب. فعلينا الإيمان بأن الكتب المنزلة على رسل الله أتتهم من عند الله، وأنها حق وهدى ونور وبيان وشفاء. قال تعالى: قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ [البقرة:136]. الطحاوية ج2 /423

- و الإيمان بكتب الله يشمل ما يلي :

1 - التصديق الجازم بأنها كلها منزلة من الله عز وجل، وأنها كلام الله تعالى لا كلام غيره، وأن الله تكلم بها حقيقة كما شاء وعلى الوجه الذي أراد سبحانه. قال تعالى: اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ [آل عمران: 2- 4].

2- الإيمان بأنها دعت كلها إلى عبادة الله وحده وقد جاءت بالخير والهدى والنور والضياء. قال تعالى: مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ [آل عمران: 79]. فبين الله أنه ما ينبغي لأحد من البشر، آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة، أن يأمر الناس أن يتخذوه إلها من دون الله. وذلك أن كتب الله إنما جاءت بإخلاص العبادة لله وحده

3 - الإيمان بأن كتب الله يصدق بعضها بعضًا فلا تناقض بينها ولا تعارض كما قال تعالى في القرآن وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ [المائدة: 48]. وقال في حق الإنجيل: وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ [المائدة: 46]

- فهذه ثلاثة أمور يجب الإتيان بها حتى يصح الإيمان بكتب الله المنزلة ...

(47)عقيدة أهل السنة والجماعة ..

- الركن الثالث : الإيمان بالكتب الإلهية ..

- الإيمان بالكتب له صفتان :

الأولى : مجملة ، وهي الاعتقاد بأن الله سبحانه أنزل كتبا على رسله الكرام ،فيها بيان الطريق الموصلة إلى الله تعالى ، و أن هذه الكتب منها ما سماه الله لنا كالتوراة و منها مالم يسمه لنا ولكننا نؤمن به ، وأن القرءان هو آخر هذه الكتب و ناسخها جميعها ، و أنه بنزول القراءن وجب على العالمين الإيمان به و تصديقه و العمل به في كل شئون الحياة ...

والثاني : صفة مفصلة ، وهي معرفة ما ورد في شأن هذه الكتاب من خلال القرءان و ما صح من سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - و معرفة أوامر الله ونواهيه ، و ما يحبه وما يكرهه وغير ذلك من تفاصيل الإيمان ...

- قال العلماء : ما نعلمه من هذه الكتب :

أ ـ التوراة: التي أنزلها الله تعالى على موسى صلى الله عليه وسلّم، وهي أعظم كتب بني إسرائيل {فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَـابِ اللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ} [المائدة: 44].

ب ـ الإنجيل: الذي أنزله الله تعالى على عيسى صلى الله عليه وسلّم، وهو مصدق للتوراة ومتمم لها {وَءَاتَيْنَـهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ } [المائدة: 46] {وَلاُِحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ} [آل عمران: 50].

جـ ـ الزبور: الذي آتاه الله تعالى داود صلى الله عليه وسلّم.

د ـ صحف إبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام.

هـ ـ القرآن العظيم: الذي أنزله الله على نبيه محمد خاتم النبيين {هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} [البقرة: 185] فكان {مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ} [المائدة: 48] فنسخ الله به جميع الكتب السابقة وتكفّل بحفظه عن عبث العابثين وزيغ المحرفين {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَـفِظُونَ } [الحجر: 9] لأنه سيبقى حجّة على الناس أجمعين إلى يوم القيامة.

أما الكتب السابقة فإنها مؤقتة بأمد ينتهي بنزول ما ينسخها ويبيّن ما حصل فيها من تحريف وتغيير؛ ولهذا لم تكن معصومة منه، فقد وقع فيها التحريف والزيادة والنقص.

{مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ} [النساء: 46].

{فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ } [البقرة: 79].

{قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَـابَ الَّذِى جَآءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً} [الأنعام: 91].

{وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَـابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ

الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيهُ اللَّهُ الْكِتَـابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ اللَّهِ} [آل عمران: 78، 79].

{يـأَهْلَ الْكِتَـابِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَـابِ} إلى قوله: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} [المائدة: 15، 17].

- و من المسائل المتعلقة بهذا الباب :

مسألة كتابة التوراة ، هل كتبها الله بيده ؟

نعم ، كتب الله التوراة بيده ، كما في الحديث الصحيح:« قال آدم لموسى : اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده » أخرجه البخاري ومسلم ...

وفي كتاب التنبيه والرد 133/1 للملطي قال عكرمة :إن الله تعالى خلق آدم بيده كرامة لابن آدم و غرس الجنة بيده كرامة لابن آدم وكتب التوراة بيده وخلق السموات والأرضين وكل شيء خلقه في ستة أيام ...

قال العلماء : المعروف عند السلف ، أنها [أي الكتب السماوية] من كلام الله. ولهذا يقولون: التوراة والإنجيل والزبور والقرآن كلها غير مخلوقة، منزلة غير مخلوقة، لكن التوراة ذكر العلماء أن الله كتبها بيده، وقال الله تعالى: {وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ}، فإذا جعلنا الكتابة بمنزلة القول كما هو الواقع في المعاملات وغيرها، صارت مكتوبة، كتبها الله بيده. لكن لا نعلم هل تكلم بها عز وجل، أو أن موسى أخذها مكتوبة.

- فالتوراة هي كلام الله تعالى ، لكن هل تكلم الله بها و كتبها ، أو كتبها ، هذا لا نعلمه ، لكن هي كلامه سبحانه ..

و هل هناك فرق بين التوراة و صحف موسى و الألواح ؟ أم هي شئ واحد ؟

قال العلماء في جواب ذلك :

التوراة إنما أنزلها الله بعد هلاك فرعون وإغراقه، قال الله: « وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ » [القصص:43]، ولم يهلك الله أمة إلا قبل نزول

التوراة بثلاثين عام، أما بعد نزول التوراة فقد رفع الله العذاب العام، فدل هذا على أن الألواح كانت قبل نزول التوراة، وأنزل الله على إبراهيم وموسى صحفاً، قال تعالى: « إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى » [الأعلى:18-19]، وهي غير التوراة، والتوراة إنما نزلت بعد ذلك، والتوراة والألواح التي كتبها الله وأنزلها على موسى بعد أن عبد بنو إسرائيل العجل، وكان هذا بعد هلاك فرعون، وذلك لما ذهب موسى لملاقاة ربه عز وجل أربعين ليلة، واستخلف أخاه هارون، وهو نبي مثله قال: « اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ» [الأعراف:142]، فجاء السامري فصنع لهم من الحلي عجلاً له خوار، وقالوا: « هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ »[طه:88] فعبدوه فنهاهم هارون ومنعهم؛ فلم يقبلوا كلامه، وأرادوا قتله كما قال تعالى: « قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى » [طه:91]، فلما جاء موسى ووجدهم يعبدون العجل غضب غضباً شديداً وألقى الألواح حتى تكسرت من شدة الغضب، وهذا فيه دليل على أنه ليس من رأى كمن سمع، ففي الأول أخبره الله أنهم عبدوا العجل لكنه لم يغضب هذا الغضب الشديد إلا عندما رآهم بعينه يعبدون العجل، وقد عفا الله تعالى عنه مع كونه ألقى الألواح -وفيها كلام الله- حتى تكسرت من شدة الغضب، ثم أخذ برأس أخيه هارون -وهو نبي كريم مثله- وجره برأسه ولحيته لأنه تركهم يعبدون العجل قال تعالى: « قَالَ يَبْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي » [طه:94]، وقال تعالى: « إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي » [الأعراف:150] يقول: ما قصرت،« لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي » [طه:94]، « إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي »و[الأعراف:150] فقد نصحتهم، لكنهم ما قبلوا وأرادوا قتلي، « قَالَ يَبْنَؤُمَّ » [طه:94] وهذا من باب الاستعطاف وإلا فهو أخوه لأبيه وأمه. فيحتمل والله أعلم أنها التوراة؛ لأن التوراة إنما نزلت بعد هلاك فرعون وعبادتهم العجل، والله تعالى عفا عنه؛ لأن له مكانة ومنزلة عند الله؛ لأن إلقاء الألواح وفيها كلام الله حتى تتكسر ذنب عظيم.